جامعـــة قـــاصدي مربـــاح ورقلـــة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
ميدان العلوم الإجتماعية
شعبة الفلسفة
تخصص تاريخ الفلسفة

إعداد الطالبة:
دقناتي سارة

إشراف:
د. أحمد زيغمي

عنوان المذكرة

الأسس التاريخية لفكر مكيافيللي السياسي

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر أكاديمي في الفلسفة

نوقشت علنا يوم: 2017/05/21

أ. لعموري شهيدة ..... رئيسا
د. أحمد زيغمي ..... مشرفا
أ. رياض طاهير ..... مناقشا

الموسم الجامعي: 2017/2016

جامعـــة قـــاصدي مربـــاح ورقلـــة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
ميدان العلوم الإجتماعية
شعبة الفلسفة
تخصص تاريخ الفلسفة

إعداد الطالبة:
دقناتي سارة

إشراف:
د. أحمد زيغمي

عنوان المذكرة

الأسس التاريخية لفكر مكيافيللي السياسي

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر أكاديمي في الفلسفة

نوقشت علنا يوم: 2017/05/21

أ. لعموري شهيدة ..... رئيسا
د. أحمد زيغمي ..... مشرفا
أ. رياض طاهير ..... مناقشا

الموسم الجامعي: 2017/2016

بسم الله الرحمان
الرحيم

الإهـــــداء

الحمد لله لذي رفع من أراد به خيرا بالعلم والإيمان ، وخذل المعرضين عن الهدى وعرضهم لكل هلاك وهوان.

وأشهد أن لا إله إلا الله الذي أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم قليلا ولا كثيرا **

وجعل لنا السمع والأبصار والأفئدة لنشكره بصرفها إلى المعارف النافعة وكان ربك قديرا

وأشهد أن محمد عبده ورسوله الذي أرسل إلى جميع الثقلين بشيرا ونذيرا

أما بعد:

أهدي ثمرة جهدي إلى من أوصى الله ورسوله بهما حسنا "والدي العزيزين" داعية لهما الحفظ والرعاية

إلى مصدر عزيمتي عمي الغالي.

وإلى جدتي : حفظها الله ورعاها

إلى زهور العمر وقناديل البيت اخوتي : (سلطان , محمد , كريم)

واخواتي:(جهاد, ايمان ,خديجة ,مريم)

إلى كل عائلة دقناتي صغيرا و كبيرا.

إلى من عشت معهم الصداقة الحقيقية

إلى كل من علمني حرفاً.

إلى جميع هؤلاء وكل محب في الله أهدي ثمرة جهدي ، راجيةً من المولى لمواصلة المشوار الدراسي والعلمي.

الـشكـــــــر

يقول سبحانه وتعالى : (فاذكروني أذكركم و اشكروا لي و لا تكفرون)

البقرة-152

الشكر لله عز وجل وحده فبه التوفيق والسداد وله الحمد حمداً كثيراً طيبا مباركاً فيه وجه وعظيم سلطانه.

و يقول أيضا : (...و لا تنسوا الفضل بينكم...) . البقرة-237

فبعد فضل الله عز وجل يقتضي الواجب من باب الاعتراف بالجميل أن اتقدم بالشكر الجزيل والثناء الخالص لكل من ساهم في انجاز هذا العمل ،

وأخص بالذكر الأستاذ الفاضل " أحمد زيغمي" حفظه الله ورعاه على تفضله بقبول الإشراف على هذا البحث ، والذي كان شرف عنايته وصبره معنا ، والجود بإرشاداته السديدة ، ونصائحه الغالية وتوجيهاته المفيدة ، جزاك الله خيرا ، أستاذنا وأطال الله في عمرك ، وأبقاك ذخرا للعلم والوطن

ومن الواجب أيضا أن اتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل :

" علي سعد الله" وكما أشكر جميع أساتذة شعبة الفلسفة

رياض طاهير و بن قويدر عاشور و لعموري شهيدة و إلى الأستاذ عمر برابح وبن غزالة محمد الصديق ،

فجازاهم الله عنا خير الجزاء و نفع بهم كل طالب علم و معرفة.

واشكر كل من ساعدني في إخراج هذا العمل المتواضع إلى النور من قريب أو من بعيد

فاللهم لك منا كل الشكر والثناء على نعمة الصبر والطاعة والولاء لك حمدا لا نمل من ذكره حتى نلقاك في ساعة الصفح وأنت راض عنا يا رب.

والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم.

مقدمـــة

مقدمة:

شهدت إيطاليا عصر مكيافيللي **Nicolas Machiavelli*** **(1469، 1527م)**، مزيجا من الأنظمة السياسية، يضم الدوقيات إلى أشكال متناحرة من الإمارات، والجمهوريات. وهو نظام شبيه إلى حد بعيد– في جانب منه– بنظام الدولة المدينة الذي كان سائدا عند اليونان. فقد كان حينها لكل إمارة، أو جمهورية، أو دوقية في إيطاليا، كيان سياسي مستقل عن بقية الكيانات السياسية. وكأن كل مدينة هي بمثابة دولة قائمة بذاتها، وغالبا ما كانت تمزقها الإضطرابات العنيفة، وتنشب بينها الحروب الأهلية. وقد عمد مكيافيللي في خضم هذه الصراعات إلى تشخيص الواقع السياسي المر الذي كانت تتخبط فيه إيطاليا، إضافة إلى أطماع فرنسا والنمسا في أراضيها؛ فطالب مكيافيللي بخلق دولة وطنية متحررة من الصراعات الإقطاعية التي مزّقت وإستنزفت قوة البلاد، ومن سلطة الكنيسة البابوية التي حالت دون توحيد إيطاليا تحت راية جمهورية موحدة.

تكمن أهمية مكيافيللي التاريخية، في تحليل علاقات القوة بين الحكام والمحكومين، وكيف تتشكل تلك العلاقات، معتمدا في ذلك على منهج الملاحظة وطرق التحليل المختلفة، وعلى النقد

---

* مكيافيللي **Nicolas Machiavelli (1469، 1527م)**: ولد مكيافيللي بفلورنسا، في اليوم الثالث من مايو عام 1469م، وتقلّد مناصب عالية في الدولة، رغم صغر سنه، وقد درس في شبابه الحساب، وتعلم اللاتينية فأجاد الكتابة بها، استفاد كثيرا من رعاية معلمه باولو ساسو دا رو نسيليولي (Paolo Sasso Da Ronciglione)، مع أننا نجهل كثيرا من تفاصيل حياة مكيافيللي الدراسية، عرف عنه إنهماكه في دراسة الشعر، والفلسفة. وقد جُمعت ثلاثة من أشهر أعماله المُبكرة في ديوان شعر مزود بلوحات للرسام ساندرو بوتيشيللي Alessandro di Mariano dei filipepi (1445– 1510).

روس كينج، مكيافيللي فيلسوف السلطة، ترجمة فايقة جرجس، مراجعة مجدى عبد الواحد عنبه، دار كلمات عربية القاهرة،(ط1، 2008) ص9،14.

ومعايير امتحان الحقائق التاريخية. مؤكدا الانخراط في طريقة جديدة لفهم تلك العلاقات، هي طريقة استعادة التجارب التاريخية للأمم التي عرفت أمجادا أو انتكاسات سواء في العصور القديمة أو المتأخرة، لذلك فإن مشكلتنا تدور حول القضايا السياسية الواردة في مفاهيم التاريخ، وحول إمكانية اللجوء إلى العصور القديمة للعثور على صلة بين تاريخ روما وانعكاس سياسي آخر على الأوضاع الإيطالية؛ نتيجة لهذه القراءة كتب مكيافيللي نقاشاتهم عن العقد الأول من تيتوس ليفي*(Titus livy) بين (1513 و1517) ولقد جاء كتاب الأمير معبرا عن عصارة تجارب مكيافيللي المباشرة في عالم الحكم والسياسة، وقد دلت أفكاره على تبحره في كتابات الأقدمين من أمثال ليفي، سنيكا، شيشرون، كما ضرب فيه أمثلة عن القوى السياسية المعاصرة آنذاك أمثال فرنسا وإنجلترا والنمسا، فإجتهد في استخلاص النموذج السياسي الممكن في حق إيطاليا الممزقة مبررا القوة والوحشية وكل أصناف المكر والخداع، التي صارت مجرد أساليب لإدارة الصراع السياسي. في بلد غاية غاياته تحقيق الوحدة السياسية بأي ثمن، وهو بذلك يدعو إلى القومية الإيطالية.

إن إشكالية بحثنا هي:

لماذا وكيف وظّف مكيافيللي التاريخ السياسي للإمبراطوريات والممالك القديمة في تحليل وفهم المشكلات السياسية لإيطاليا؟

وانطلاقا من هذه الإشكالية، طرحنا عددا من الأسئلة وهي:

* تيتوس ليفي(Titus livy) 59 ق،م . 17م ، مؤرخ روماني مشهور، يعد كتابه تاريخ روما المرجع الأساسي لفكر مكيافيللي السياسي.

1. كيف تكون أحداث التاريخ السياسي المعروفة بشدة تقلباتها أساسا، لاستخلاص قواعد سياسية راسخة عند مكيافيللي؟

2. ما مفهوم التاريخ عند مكيافيللي وما دوره في بلورة فكره السياسي؟

3. وما هي أهم القواعد السياسية التي استمدها واستقاها مكيافيللي من دراسته للتاريخ السياسي؟

لتحليل هذه الإشكالية وتفكيكها، اتبعنا:

أ . المنهج التحليلي، قصد تحليل الأفكار الواردة في كتابات مكيافيللي.

ب . المنهج التاريخي، للإطلاع على الصيرورة التاريخية لفكر مكيافيللي السياسي، وأهم جذورها الفكرية.

كما جاءت هذه الدراسة مقسمة إلى فصلين، بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة.

الفصل الأول: تاريخ المصطلح السياسي عند مكيافيللي، والذي حاولنا فيه ضبط حدود، ومضامين المصطلح السياسي المكيافيللي.

أما الفصل الثاني: أشكال الحكومات ووظائفها، فقد عالجنا فيه مختلف متعلقات الشأن السياسي الداخلي والخارجي.

أما دوافع اختيار هذا الموضوع فقد كانت الرغبة والميل إلى دراسة الموضوعات التي تتداخل فيها مسائل الأخلاق مع مسائل السياسة والحكم وإدارة الشأن العام.

ثم العمل على سد الفراغ الموجود في حقل الدراسات التاريخية حول موضوعات قيام الدولة وتفككها.

أما عن الصعوبات التي واجهتني في دراسة هذا الموضوع، فقد تمثلت في غموض بعض المصطلحات المكيافيللية وإن كنت توصلت بخصوص هذه المسألة إلى أن مكيافيللي قد كان يتعمد الغموض والإبهام في بعض مصطلحاته وأرائه، كي يتهرب أو يتجنب ردود الفعل القاسية من قبل الكنيسة، وما حادثة جيرولامو سافونارولا الذي أحرق حيا من طرف الكنيسة إلا دليل على ذلك، ولعل أكبر صعوبة على الإطلاق كانت هي قلة المصادر والمراجع التي تتعرض لمفاهيم مكيافيللي السياسية، و صعوبة التعامل مع المصادر والمراجع باللغة الأجنبية.

الفصل الأول: تاريخ المصطلح السياسي عند مكيافيللي

المبحث الأول: المصطلح المكيافيللي

المبحث الثاني: موقف مكيافيللي من التاريخ

- المطلب الأول: مفهوم التاريخ وأهميته عند مكيافيللي
- المطلب الثاني: نماذج مكيافيللي التاريخية

المبحث الثالث: البعد النفسي في التحليل السياسي عند مكيافيللي

تمهيد

يرى مكيافيللي في التاريخ فوائد جمة، تجعل دراسته ضرورية للإنسان، انطلاقا من محاكاة وتمحيص خبرات الأسلاف في الماضي والاستفادة من إيجابياتها في الحاضر وفي تطلعنا للمستقبل، وعليه يتضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث رئيسة هي، المبحث الأول: المصطلح المكيافيللي، والمبحث الثاني: موقف مكيافيللي من التاريخ ويشتمل على مطلبين، الأول بعنوان مفهوم التاريخ وأهميته عند مكيافيللي، والمطلب الثاني نماذج مكيافيللي التاريخية. والمبحث الثالث بعنوان البعد النفسي في التحليل السياسي.

المبحث الأول: المصطلح المكيافيللي

ارتأينا قبل الشروع في عرض نظرية مكيافيللي السياسية، والتطرق لأهم الأسس التي تقوم عليها، أن نتعرض لجملة من المصطلحات، والمفاهيم التي تحدد مسار فكره السياسي، وخصوصا أن مكيافيللي تميز على غيره من الفلاسفة السياسيين، بدقة مصطلحاته وجرأتها، فمثلاّ نجده يتداول مصطلح الخديعة، المِؤامرة، الدسيسة للدلالة على نفس السياق، والفساد والفضيلة، وفي ما يلي نستعرض أهم الاصطلاحات التي تقوم عليها فلسفته السياسية.

1. مصطلح الفساد:

يتحدد مفهوم الفساد في قاموس مكيافيللي انطلاقا، من سلوك الحاكم والرعية على سواء، إذ كلما تخلى هؤلاء عن خصال الفضيلة، من شجاعة، وحكمة، وبسالة، وكفاية، وأقبلوا على فعل الرذائل من قبيل التقلب والتردد، ونكران الجميل، والطموح الفردي والأنانية المفرطة، استشرى الفساد وتخلل مؤسسات الحكومة، حتى أنه يمكن القول في هذا الصدد:

"كان مكيافيللي يعني عموما بالفساد أن انحطاط الفضيلة الشخصية والنزاهة المدنية والإخلاص هو الذي يجعل الحكم الشعبي مستحيلا. ويتضمن الفساد كل ضروب الإباحية والعنف ومظاهر التفاوت الشديد في الثراء والقوة وتحطيم السلام والعدل، ونمو الطموح الذي لا يحد منه النظام، والفرقة ومخالفة القوانين، والخيانة وازدراء الدين" [1]

فالفساد يقصد به مكيافيللي تخلف الإنسان، وجهله لقيم الفضيلة، والأخلاق، وانسياقه وراء التفكير المادي، وسعيه وراء الشهوات والطموحات الزائفة.

يقول مكيافيللي:

"عندما لا يكون الجوهر فاسدا، لا تؤدي الفتن وغيرها من الفضائح إلى أي ضرر، أما عندما يفسد الجوهر بأن التشاريع الصالحة لا تجدي الا إذا كانت من وضع إنسان في مركز قوي للغاية يمكنه من فرض الطاعة إلى الوقت الذي يكون فيه صلاح الجوهر قد تحقق" [2]

يقصد مكيافيللي في نصه هذا، أن الجوهر قد يكون هو الحاكم، أو الرعية، أو الطبيعة البشرية، فالفساد عنده أنواع، فساد يطال الحاكم متى تخلى عن خصال الفضيلة وأقبل على فعل الرذيلة فيصبح فاسدا، وفساد يطال الشعب متى خضع للفوضى والهمجية، وفساد يطال الطبيعة البشرية متى نزعت نحو الأنانية والشر. وهوما يعلله مكيافيللي قائلا:

"لأنه من الممكن أن نقول عن عامة البشر إنهم ينكرون المعروف، ويحبون المراوغة في الحديث ومراءين، حريصون على تجنب الخطر، راغبون في الكسب، هم أعوانك طالما استفادوا منك، وهم يفدونك بالدم وما يملكون وبحياتهم وولدهم، حين لا يكون هناك داع لذلك، ولكن حين تقترب الأخطار ينقلبون عليك" [3]

---

[1]. جورج سباين، تطور الفكر السياسي، تر: راشد البراوى، الهيئة العامة المصرية للكتاب، د،ب، (د،ط)، (د،س)، ج3، ص40.

[2]. نيقولا مكيافيللي، المطارحات، تر: خيري حماد، دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان،(ط3،)،1982، ص286.

[3] . نيقولا مكيافيللي، الأمير، تر: أكرم مؤمن، مكتبة إبن سيناء، القاهرة، مصر، (د، ط)،2004، ص86.

حاول مكيافيللي في هذا النص، أن يؤكد بأن طبيعة بعض الناس شريرة منذ نشأتهم، كما تظهر في هذا النص تشاؤمية مكيافيللي النابعة عن ملاحظته لما في الناس من فساد كما يراها ليسلي ووكر *.

2. مصطلح الفضيلة:

الفضيلة في اصطلاح مكيافيللي:

" تعني في الحقل الذي يستخدم فيه المفهوم، مجمل الميزات المرغوب فيها بشدة باعتبارها لائقة، فالرجل الذي يمتلك الفضيلة، هو رجل فاضل، رجل كما ينبغي. في العرف السياسي والعسكري عند الرومان عندما يدع العمل المبتذل للعبد هو أيضا فضيلة بقدر ما سوف يكون عليه التواضع المسيحي فيما بعد. والمفهوم عند مكيافيللي كما هو الحال بالنسبة للمفهوم الكلاسيكي، يدل على النبل والبسالة، لكنه يتضمن أيضا المعنى الحديث للعمل والبراعة في الربح" [1] كما يشير إليه ماكس هوركهايمر **

عموما تشير لفظة الفضيلة عند مكيافيللي بأنها طاعة القوانين، وحب الوطن، وانطلاقا من هذا الحب يستلزم عنه إيثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، ويرى أيضا بأنها الواجب الذي يقع على عاتق كل شخص تجاه وطنه.

يرى ليسلي ووكر:

---

* ليسلي ووكر: عميد كلية كامبيون في جامعة اوكسفورد، وقد كتب دراسة تحليلية مفصلة عن فكر مكيافيللي في مقدمة كتاب المطارحات.

[1] . ماكس هوركهايمر، بدايات الفلسفة البرجوازية، تر: محمد علي اليوسفي، دار الفارابي، بيروت، لبنان،(د،ط)،2006 ص 18.

**ماكس هوركهايمر(Horkheimer Max 1890. 1973)، فيلسوف وعالم اجتماع ألماني، تزعم مع أدورنو المدرسة التي تعرف بمدرسة فرانكفورت، وقد كتب بالاشتراك مع أدورنو جدل العقل المستنير عام 1947، كم كتب أفول العقل ونقد العقل الأداتي عام 1967، وأضخم كتاب لهوركهايمر يحمل على وجه التحديد هذا العنوان، النظرية النقدية عام 1968. (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، (ط3)، 2006، ص 711.)

" قد لا يكون ما يبدو فضيلة، دائما من الفضائل، بالنظر إلى أن مزاولتها قد تجلب الدمار، وأن ما قد يبدو رذيلة، قد لا يكون دائما وفي جميع الظروف من الرذائل السياسية ذلك لأنها تضمن الأمن والنجاح" [1]

حقيقة يؤكدها بطل مكيافيللي قيصر بورجيا، فعلى الرغم من تحليه بصفات العنف والبطش واقترافه جرائم كثيرة، إلا أنه في نظر مكيافيللي، أمير فاضل ارتقى سدة الحكم بتأثير من فضائله العظمى، والمتمثلة حسبه في الكفاية والمقدرة.

3. مصطلح الحيلة:

الحيلة في مفهوم مكيافيللي، هي فنا من فنون المداهنة والرياء والتلون، وأحيانا هي التملص من العهود والمعاهدات، وأحيانا أخرى هي نقضها وخرقها عمدا مع استعمال الخداع المعلن والصريح، وهو لا يفصلها عن الدهاء أيضا، وتعني عنده كذلك الالتفاق على القانون والتلاعب بمعانيه وأهدافه، حسب الحاجة إلى ذلك، وفي هذا الصدد يصرح قائلا:

" ولن يعدم الأمير أبدا وسائل قانونية مشروعة يتخذ منها مبررا لتجاهله القانون" [2]

نستنتج من هذا النص، أن الأمير سوف يجد حتما المخرج القانوني لتجاهله القانون.

4. مصطلح الخديعة:

الخداع والحيلة عند مكيافيللي لا يعني بهما اللجوء إلى الكذب أو نقض العهود والاتفاقات التي تعقد، وهي لا تعني بالنسبة للمعاهدات إلا التملص من قيودها، لا نقضها، بل الخداع عنده،

[1] . نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مقدمة ووكر، مصدر سابق، ص128.

[2].المصدر نفسه، ص130.

ذلك الذي يستعمل مع عدو لم يصدقك في عهده، كالخداع في الحرب مثلا، ويسوق مكيافيللي استشهاده، بالخدعة التي دبرها هانيبال* في بحيرة بيروجيا في حروبه مع الرومان قائلا:

*" حيث ادعى الهزيمة لاصطياد القنصل وجيشه الروماني في الفخ الذي نصبه، أو كإحراقه قرون قطيع من الماشية عندما أراد النجاة من يدي فابيوس مكسيموس**"* [1]

" لا يستطيع المرء على ضوء هذا إلا أن يستخلص أن على الأمير الذي يرغب في ركوب مراكب العظمة أن يتعلم ممارسة الخديعة" [2]

يقر مكيافيللي بضرورة لجوء الأمير إلى ممارسة الخديعة وما اتصل بها من مكر وحيلة ودهاء، إذا ما اضطرته الحاجة إلى ذلك قائلا:

"حول من وصلوا لمنصب الأمير أو الحاكم عن طريق الخديعة، دون الحاجة إلى حسن الطالع أو استخدام القدرات، وهذا الوضع ينطبق على الجمهوريات، وذلك عندما يتمكن فرد من الطبقة النبلاء الاستيلاء على سلطة الحكم، باستخدام أساليب حقيرة ودنيئة عن طريق الخداع والمكر أوعن طريق شخص خاص تابع له، أي مواطن وفي له، شخص خائن لبلده ووطنه" [3]

---

*هانيبال: (247 . 183) ق. م ، قائد قرطاجنة المشهور وإبن قائدها هاميلكار، أقسم وهو في التاسعة من عمره على عداء روما الدائم، تولى قيادة الحرب البونية الثانية وإجتاح إسبانيا وجنوب فرنسا ومعظم أنحاء إيطاليا، ولكنه هزم أخيرا في معركة زاما في أفريقيا عام 201، نفي إلى الشرق وأخيرا وقع في أيدي الرومان فانتحر. يعتبر من أعظم القادة العسكريين في التاريخ.

**فابيوس مكسيموس: ويلقب بالمتأني، أنتخب قنصلا ورقيبا وديكتاتورا مرات متوالية في روما، أصبح ديكتاتورا أثناء الحرب مع هانيبال، فاتبع سياسة دفاعية بطيئة أصبحت تعرف بالسياسة الفابية: وتعد من المنظمات الإصلاحية الإنجليزية التي تأسست عام 1884، وقد أطلق عليها إسم فابيوس مكسيم كونكتاتور(المماطل)، الذي أشتهر بخطة الإنتظار وتجنب المعارك الفاصلة ضد هانيبال. لمزيد من المعلومات الرجاء الإطلاع على ناظم عبد الواحد جاسور ، موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، ج1) وعلى أساسها دعيت الإشتراكية المتأنية بالفابية، ولم يرضى زملاءه الشيوخ عن سياسته هذه ولكنهم إضطروا للعودة إليه وإليها بعد هزيمة كانيه (616). وقد إستعاد تورنتوم عام 209. وعارض سياسة شيبيو الإستفزازية.

[1] . نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص747.

[2] . المصدر نفسه، ص482.

[3]. Machiavelli, the prince, words worth classics of world literature, p 32.

5. مصطلح المؤامرة:

يتحدد مفهومها عند مكيافيللي بأنها مكيدة تحاك ضد أمير أو بلد أو شخص ما، يدبرها أشخاص في الخفاء قصد الإطاحة بالحاكم أو شكل الحكم القائم؛ وفي إطارها العام شكل من أشكال الخداع.

يبغض مكيافيللي المؤامرات والمتآمرين، وما تنطوي عليه من ضرر، لشخص الأمراء وأوطانهم، أكثر من ضرر الحروب وخطورتها، ومن ثمة ليس هناك من مشروع أكثر خطرا وتهديدا من موضوع المؤامرات حسب رأيه.

نستخلص في نهاية هذا المبحث، أن المصطلح المكيافيللي له مدلولاته المخصوصة في سياق استعماله له، وبحسب توظيفه في الحقل السياسي إذ يتغير معنى المصطلح كلما تغير موضعه، فهو لا يحصر المصطلح في معنى محدد، بل يستعمله كأنما هو مصطلح واحد له معان عديدة، وأحيانا يكون له يكون له معنى واحد لكن مسمياته عديدة، فمكيافيللي أثناء تداوله لمثل هذه المصطلحات، لا يحدد مفهومها وطبيعتها كما سبق وشهدنا، فهو يدرك ويستوعب المعنى المخصوص لكل مصطلح، لكنه لا يهتم كثرا بتوضيحه، لأن فيلسوفنا واقعي، ويهتم بعملية المصطلح أكثر من تحديد لماهيته وطبيعته، وقد يكون الأمر مرتبطا بمدى انغماس مكيافيللي في الجوانب العملية وانخراطه في الشأن السياسي ولهذا فهو لا يجد فائدة كبيرة في الاهتمام بتحديد المفاهيم والمصطلحات، ولا بضبطها منطقيا كما كان يفعل أرسطو مثلا.

المبحث الثاني: موقف مكيافيللي من التاريخ

تمهيد:

تشمل دراستنا هذه معالجة التنظير السياسي لمكيافيللي، من منطلق تاريخي، من كشف خبايا الماضي وتفسيره من مختلف جوانبه السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية في المجتمع، والتاريخ هو الذي يحقق هذا الفهم الدقيق للماضي، وإسقاطه على حاضرنا، والتنبؤ به مستقبلا؛ وعليه فهذا المبحث يتضمن مطلبين الأول في مفهوم التاريخ وأهميته، والمبحث الثاني بعنوان النماذج التاريخية التي استقاها مكيافيللي من التاريخ ليبني عليها نظريته السياسية.

المطلب الأول: مفهوم التاريخ عند مكيافيللي وأهميته:

إن جل مؤلفات مكيافيللي، لا تخلو من لفظة التاريخ، ونجد مكيافيللي لا يتردد في العودة إليه بين الفينة والأخرى. من أجل فهم الوقائع السياسية ضمن مساقات تاريخية أبعد لكنه مع ذلك، ورغم دراسته المتأنية للتاريخ، واعتماده على الأمثلة والشواهد التاريخية، فهو لا يتعرض لمفهوم التاريخ، وقبل الشروع في تفسير التاريخ عند مكيافيللي، يجدر بنا الوقوف عند مفهوم التاريخ بشكل عام.

مفهوم التاريخ (Histoire)

1. **لغة:** التاريخ في اللغة تعريف الوقت، وتاريخ الشيء وقته وغايته.
2. **اصطلاحا:** هو علم يبحث في الوقائع والحوادث الماضية[1].

ويرد مفهوم التاريخ في معجم لالاند بأنه:

بحث، استعلام، ومن ثم معرفة وأخيرا منسوبية ما يعرف، تاريخ. والقصد منه عملية المعرفة.

[1] . جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان،(د،ط)، 2006، ص227.

والتاريخ له معنى أدق عند أرسطو، فهو يدل على مجرد ركام من الوثائق، مقابل عمل تفسيري أو تنسيق.

والتاريخ عند بيكون هو معرفة الإفرادي، وأداته هي الذاكرة، إنه يتعارض من جهة مع الشعر وهذا أيضا موضوعه الفردي، لكنه الإفرادي الوهمي، وآلته الخيال؛ ويتقابل من جهة ثانية مع الفلسفة، وهذه موضوعها العام وآلتها العقل، وهو يقسمه إلى تاريخ طبيعي وتاريخ مدني، أهلي فعنده كما عند أرسطو يتقابل التاريخ الطبيعي بوجه خاص مع الفلسفة أو العلم باختلاف المنهج لا باختلاف موضوعي.

يشير التاريخ إلى الوقت.

والتاريخ هو معرفة أحوال الماضي على التوالي، كأحوال الشعوب، أو المؤسسات، أو أحوال الأجناس الحية، أو بواسطة علم من العلوم ...إلخ[1]

وفي معنى التاريخ أيضا يشير ماكس هوركهايمر:

"في المجتمع الفعلي، ثمة أناس يسيطرون على أناس آخرين؛ وهم بالملاحظة وبالدراسة المنهجية يتوصلون إلى الحصول على معارف تسمح لهم باستلام السلطة والمحافظة عليها"[2]

كما يرى أيضا:

" أن أدوات علم مكيافيللي إنما يقدمها الماضي قبل كل شيء(...) إلا أن جهد مكيافيللي الأساسي انصب على استقراء التاريخ . إن الماضي أكثر من الحاضر، هو المنبع الذي على علم السياسة أن ينهل منه الأمثلة التي تمكنه من ضبط قوانين الاطراد"[3]

أما مفهوم التاريخ عند مكيافيللي، وحسب دراستنا لهذه الجزئية، وحسب اطلاعنا على كتبه نجد أن مكيافيللي لا يتعرض لمفهوم التاريخ، ولا يمكننا أن نستخلص معنى للتاريخ مالم نفهم أسلوب مكيافيللي وماذا أراد من دراسته للتاريخ؟

---

[1]. أندريه لالاند، المعجم الفلسفي، تعر: خليل أحمد خليل، دار عويدات، بيروت، لبنان، (ط2)، 2001، ج2، ص ص558. 560.

[2] . ماكس هوركهايمر، بدايات الفلسفة البرجوازية، مرجع سابق، ص13.

[3] . المرجع نفسه، ص14.

حاول مكيافيللي إتباع منهج جديد ومختلف، عمن سبقوه على حد قوله، فعلى الرغم من أن فكره السياسي يقوم على أسس نفسية وأسس فكرية وأسس اجتماعية، إلا أنه في بحوثه ودراساته، ركز على التاريخ، فقد كانت خلاصة أفكاره بأن أفعال البشر المتماثلة تؤدي إلى نتائج متماثلة على الدوام، بناء على ما يقوم بينها من إطراد، فحاول الربط بين الأسباب والنتائج والدراسات التحليلية المستمدة من التاريخ، وعلى ذلك كان الأسلوب الذي اتبعه مكيافيللي في جل كتاباته، هو المضي في سرد الأحداث كما هي في مدونة تيتوس ليفي، ووفق تسلسلها الزمني، منتقيا الحوادث التي تتوالم مع مادة كتبه بصفة عامة، حيث اختار من تاريخه أحداث ووقائع ليدعم بها نظرياته السياسية، المستوحاة من هذا التاريخ، وكثيرا ما أوحت له نفس الحادثة التاريخية بأكثر من نظرية واحدة، أي أن التاريخ قد يكون هو الملهم الأساسي لفكره السياسي، وهدفه من دراسة التاريخ، هدف عملي بالدرجة الأولى، فهو يحاول أن يكتشف في التاريخ قوانين ذات طابع عالمي للمسببات والنتائج[1].

من خلال ما سبق نفهم تصور مكيافيللي للتاريخ أنه يتمثل جملة الأحداث والوقائع، التي يصلح استخدمها أساسا للتنبؤ بوقائع ممكنة في المستقبل، كما يرى أنه من السهل على من درس الماضي بعناية، التنبؤ بالمستقبل في جميع الجمهوريات، وجعل العلاجات التي استخدمها القدماء حلا للمشاكل الراهنة، بسبب ما يقوم بينها من تشابه.

"استطاع مكيافيللي أن يتجاوز حدود الزمان والمكان لأنه وضع يده على القوانين والثوابت التي تحكم خصائص النفس البشرية عندما تتعامل مع المتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية"[2]

يكتسي موضوع التاريخ إذن مكانة بارزة في فكر مكيافيللي، وهذا ما تجلى في كتاباته، فمكيافيللي في دراسته للفكر السياسي، وتحليليه لواقع المنظومة السياسية، لا ينفك عن الاستعانة بالتاريخ والأمثلة والأحداث والشخصيات التاريخية، وقد أعطى للتاريخ أهمية خاصة حتى أن منهجه ما هو إلا منهج تاريخي:

---

[1]. راجع: نيقولا مكيافيللي، المطارحات، ص ص 82 . 85.

[2] . نبيل راغب، أسرار المطبخ السياسي، دار غريب، القاهرة، مصر،(د،ط)،(د، س)، ص92.

" لقد كان مكيافيللي تاريخيا في بحوثه وكتاباته، ويرى أن الرجوع إلى التاريخ هو أفضل طرق البحث العلمي، وأن دراسة الماضي هي الدعامة التي يرتكز عليها الباحث في الوصول إلى قضاياه العلمية، فهو إذن من أصحاب النظرية القائلة بأن التاريخ هو المدرسة الحقة لدراسة النظريات السياسية ومن المفكرين القلائل الذين أدركوا العلاقة الوثيقة التي تربط التاريخ بالبحث السياسي" [1]

عندما يقر مكيافيللي، أن كل شيء له صلة بالماضي، فإنه يستحضر رؤية التاريخ على أساس وجود تسلسل حتمي بين السبب والنتيجة؛ فالتاريخ عنده أداة، يمكن الاعتماد عليها للتنبؤ بأحوال المستقبل، وفقا لمنطق التلازم بين الماضي والحاضر، كما بين المسببات والنتائج.

يقول مكيافيللي في إحدى مطارحاته:

" فإنك لا تجد أميرا أو جمهورية يعودان في بناء الجمهوريات والحفاظ عليها، أو في حكم الممالك، وتشكيل الجيوش، وإدارة دفة الحرب، ومعاملة الرعايا وتوسيع الإمبراطوريات إلى دروس الماضي البعيد وعبره، للإفادة منها، والحذو حذوها" [2]

كما نجده يؤكد ضرورة أن يكون الأمير ملما بالمعارف التاريخية قائلا:

" أما فيما يخص تدريب العقل فإن على الأمير أن يقرأ تاريخه، ويدرس أعمال عظام الرجال، ليرى كيف كانوا يتصرفون في الحروب، ويدرس أسباب انتصاراتهم ومسببات هزائمهم، حتى يستطيع أن يسير على درب المظفرين ويتحاشى أن يلقى هزيمة تماثل هزائم المقهورين منهم، وقبل كل شيء يجب عليه أن يسير على درب عظماء الماضي، الذين كانوا يتخذون هم بدورهم من العظماء الذين سبقوهم قدوة لهم " [3]

من خلال النصيين السابقين، يؤكد مكيافيللي ضرورة محاكاة الماضي، في أنظمة الحكم، والتحكم في الجيش، والظفر بالحروب، والتحكم في الرعية وطرق التعامل معها، وهو بذلك يبرز مثال

---

[1] . رأفت الشيخ، تفسير مسار التاريخ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، الإسكندرية، مصر،(د،ط)، 1430هـ . 2000م، ص97.

[2] . نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص 209.

[3] . نيقولا مكيافيللي، الأمير، مصدر سابق، ص 64.

جمهورية روما، مثالا يقتدى به في حياتنا الحاضرة، وعلى ذلك كان أسلوبه في البحث، يقوم على وضع تعميمات في حالة تكرار لأحداث ومعرفة نتائجها وارتباطها وإمكانية تكرارها، أي محاولة التنبؤ بها مستقبلا مع إمكانية التدخل في سير الأحداث للوصول إلى قواعد عامة توضح الأساس الذي يتبعه الحكام، في تبني مواقفهم بعد معرفة أسبابها ومحاولة تحديد السلوك الواجب إتباعه لمواجهة تلك الأحداث.

يتضح مدى شغف مكيافيللي بالتاريخ، من كثرة استشهاده بالأحداث والأمثلة التاريخية، واستعمالها للتدليل على صحة أفكاره، كما في "كتاب فن الحرب" و "تاريخ فلورنسا" وغيرهما من الكتب، وبذلك يعد مكيافيللي أحد مؤسسي طريقة التحليل التاريخي في الأزمنة الحديثة.

المطلب الثاني: نماذج مكيافيللي التاريخية:

تمهيد:

تستوفي دراستنا في هذا المبحث تسليط الضوء، على نخبة من النماذج التي اعتمد عليها مكيافيللي في صياغة نظرياته السياسية، المستوحاة من التاريخ، تتمثل هذه النماذج في صورة جمهوريات، وشخصيات من أباطرة وملوك... إلى آخره.

1) النموذج الإسبارطي وقائده ليكرجوس:

لا يتوانى مكيافيللي، في الإشادة بالنظام الإسبارطي، مقتبسا من تاريخ ليفي معربا عن إعجابه بنظامها السياسي وبقائده ليكرجوس* :

" ولا ريب أنها قد كانت حكومة سعيدة تلك الحكومة الشعبية، التي تخرج رجلا حكيما يستطيع في ظل القوانين التي يضعها الحياة بأمن ودعة دون أن يضطروا إلى تقويمها. ولقد ظلت إسبارطة مثلا، تحترم قوانينها أكثر من ثمانمائة عام، دون إفسادها، ودون أن تحس بإزعاج يهددها" [1]

*ليكرجوس: مؤسس الدستور الإسبارطي وكان من الأسرة المالكة، هو الذي وضع قوانين إسبارطة العسكرية، ومجلس الشيوخ والمواطنين، ووحدا المملكة وقسم الأراضي ووضع نظاما للتعليم.

[1] . نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص216.

يظهر جليا، أن مكيافيللي يرى إسبرطة جمهورية سعيدة، تنعم في ظل قوانينها الخاصة، والتي على حد قوله قوانين سليمة لا تحتاج إلى تعديل، والتي لم يعتريها الفساد على مر عقود من الزمن.

ثم يضيف قائلا:

" وكان ليكرجوس أحد الذين استحقوا الثناء العاطر، على إقامة حكومة من هذا الطراز. فلقد عهد في الدستور الذي سنه لمدينة إسبارطة إلى كل من الملوك والنبلاء، وجمهرة الشعب، بمهام خاصة بها. وهكذا أدخل شكلا من أشكال الحكم، قدر له البقاء أكثر من ثمانمائة عام، مما حقق له الثناء العاطر ولمدينته الهدوء والاستقرار" [1]

وها هو ذا مكيافيللي يثني عليه لإقامته شكلا جديدا من أشكال الحكم، قدر له أن يثبت دعائمه إلى أزيد من ثمانمائة عام.

وانطلاقا من رصده لشكل الحكم الإسبارطي . يصرح مكيافيللي بكل ثقة . أن من ينشد إقامة جمهورية قوية، ينبغي أن يحذو حذو الطراز الإسبارطي القديم.

1) الجمهورية الرومانية:

يعتمد مكيافيللي في فكره السياسي، على خلفية التاريخ الروماني، بأطواره الثلاثة: الملكي، والجمهوري، والإمبراطوري، وإن كان تركيزه منصبا كليا، على النظام الجمهوري وكتابه المطارحات لا يخلو في أي فصل من فصوله، من الإشادة بنظامها السياسي، وأباطرتها، وقادة الجيوش فيها، وموضوع الإشراف الديني، وغيرها مما يبرز عظمة روما.

" فهو شديد الإعجاب بجمهورية روما، إلى الحد الذي لا يرى فيه أي خطأ ارتكبته هذه الجمهورية في عهد الرومان، باستثناء الأخطاء التي ارتكبتها في قوانينها الزراعية، وهو لهذا يرى أن كل ما عملته هذه الجمهورية، مثلا، نستطيع احتذاء حذوه في سلوكنا السياسي اليوم" [2]

[1] . نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص 221.

[2] . المصدر نفسه، ص13.

إن إعجاب مكيافيللي بهذه الجمهورية، يتمثل في دستورها وتسييرها المحكم لمؤسساتها السياسية، ويرى فيها الأنموذج الأمثل لفلسفة الحكم، وهو بذلك نادى في مطارحاته بالنظام الجمهوري الذي جسدته روما. لكن أوضاع إيطاليا حالت دون قيام حكومة ذات طابع جمهوري:

" حيث أن روما التي يمجد والتي لا يقوى على الانفكاك عنها، هي روما الجمهورية، فعلى رأي مكيافيللي لا ينسجم النظام المدني مع وجود طبقة نبلاء إقطاعية. وبالتالي فإن نظريته الجمهورية ذات الإيحاء الروماني ما كان لها أن تجد حقل تطبيق، في فترة كانت تحتضر فيها الحياة الجماعية المدنية في إيطاليا " [1]

وهكذا سرعان ما تبدد حلم مكيافيللي الجمهوري، وعاد من جديد في الأمير لينادي هذه المرة بنظام شبه ملكي يتناسب تماما مع الوضع المزري الذي آلت إليه إيطاليا آنذاك*.

كما يظهر مكيافيللي إعجابه الواضح بديانة روما:

" لقد أعجب بديانة روما القديمة أكثر من الديانات الأخرى، ولم ينشأ إعجابه هذا عن مجرد الاعتقاد باستحالة بقاء الدولة بلا ديانة لها، بل عن كون الديانة الرومانية من النوع الذي يستطيع الساسة استخدامه لتحقيق غاياتهم السياسية" [2]

[1]. جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية، تر: ناجي الدراوشة، دار التكوين، دمشق، سوريا،(ط1)، 2010،ج2، ص355.

* . اعتبر مكيافيللي في البداية، الجمهورية نظاما أمثل للحكم. لكن بعد تحليله للأوضاع القائمة في إيطاليا التي كانت مقسمة على خمس دول هي مملكة نابولي في الجنوب ودوقية ميلان في الشمال الغربي وجمهورية البندقية الأرستقراطية في الشمال الشرقي وجمهورية فلورنسا والدولة البابوية في الوسط والتي كانت علاقاتها تتسم باستفحال الحروب والخلافات فيما بينها مما جعل كل الوطن هدفا سهلا للغزو الأجنبي المستمر، توصل مكيافيللي في الأمير إلى الإستنتاج بأن خير نظام يمكنه تحقيق وحدة إيطاليا والذود عنها هو ذلك النظام الذي يستند إلى سلطة مركزية دكتاتورية مطلقة قوية لا تقف في سبيلها الاعتبارات الدينية والدنيوية والأخلاقية وإن عدم ظهور مثل ذلك النظام في إيطاليا يعد من أهم أسباب تخلفها وتمزقها وضعفها أمام الدول الأوربية التي أقيمت فيها أنظمة مطلقة بنجاح.(كمال مظهر أحمد، مكيافيللي والمكيافيللية، دار الحرية، بغداد، العراق،(د،ط)، 1984، ص27.

[2] . نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مقدمة ووكر، المصدر السابق، ص140.

يتضح من خلال النص، أن للدين مكانة خاصة في حفظ أمن ووحدة الدولة، وأن الواجب عند تأسيس الحكومات، أن تراعى فيها حرمة هذا الدين، بغض النظر عما إذا كان وثنيا أو سماويا، المهم عند مكيافيللي أن تلجأ الدولة إلى الدين لخدمة أغراضها السياسية.

" وهكذا فقد عنى الرومان بكلمة الفضيلة كل خصلة من الخصال، التي يناسب الإنسان الحر التحلي بها. ولم تكن تعني صفة الإنسان الشخصية فقط ومقدرته، بل تكريس نفسه للدولة، وكفايته في أداء واجبه، وهو أمر له أهمية قصوى في حياة السياسي والقائد على حد سواء. لكن الرجل في المفهوم الروماني، ليس إلا مواطنا عليه واجباته تجاه المجموعة التي يعيش بينها، وما لم يؤد هذه الواجبات خير الأداء. فهو ليس بالرجل الفاضل في رأي الرومان " [1]

يرى مكيافيللي أن السبب وراء عظمة ومجد روما، إنما يرجع بالدرجة الأولى إلى فضائل الرومان، وهي ذات الفضائل التي افتقرت إليها إيطاليا في عصره.

2) النموذج الإيطالي: والمتمثل في شخصية سيزار بورجيا:

اختاره مكيافيللي شخصية سيزار بورجيا* أنموذجا لكتابه الأمير، حتى أنه أفرد له فصلا كاملا يعدد فيه صفاته ومزاياه، والغريب في الأمر، أن مكيافيللي اختاره رغم معرفته الجيدة برأي الأغلبية فيه! ولقد كان لمكيافيللي علاقة وثيقة بهذا الرجل، من خلال البعثات الدبلوماسية التي أوفدت إليه وكان مكيافيللي على رأسها. فقد أمضى أربعة أشهر في صحبة بورجيا، الأمر الذي مكنه من معرفته معرفة جيدة والإعجاب بسياسته، ومن هذا النص نستخلص بعضا من دوافع إعجابه بشخصية قيصر بورجيا:

"استمرت بعثة مكيافيللي إلى بلاط بورجيا نحو أربعة أشهر، أجرى خلالها العديد من المحادثات الثنائية مع الدوق. الذي كان يبدو أنه يبذل قصارى جهده كي يجلي حقيقة سياساته وما

[1].. نيقولا مكيافيللي، المطارحات المصدر سابق، ص140.

* سيزار بورجيا(Cesare Borgia) إبن البابا ألكسندر رودريجو بورجيا، قائد عسكري تولى حكم رومانيا بدعم من والده، أشتهر بالوحشية والعنف، وأصناف الخداع.

تنطوي عليه من طموحات. كان هذا محط إعجاب عظيم من جانب مكيافيللي؛ فقد ذكر أن الدوق يتمتع بشجاعة فائقة، فضلا عن كونه رجلا ذا خطط عظيمة، يظن أنه قادر على بلوغ أي شيء يريده، علاوة على أن أفعاله لا تقل إدهاشا عن أقواله، لأنه يرقب كل شيء بنفسه، ويحكم في تكتم بالغ، ومن ثم لديه القدرة على اتخاذ القرار وتنفيذ خططه بسرعة مبهرة باختصار، أدرك مكيافيللي أن بورجيا ليس مجرد قائد محدث نعمة لمجموعة من المرتزقة، وإنما شخص لابد أن ينظر إليه الآن باعتباره قوة جديدة في إيطاليا" [1]

تعد هذه البعثة التي أوفد على رأسها مكيافيللي إلى بلاط بورجيا، بمثابة تقرير شامل عن حياة هذا الرجل السياسي، لم يستطع مكيافيللي إخفاء إعجابه بشخصية بورجيا فراح يعدد صفاته قائلا:

. أنه شخص متفاني العمل طموح، وهي أول صفة أبدى مكيافيللي إعجابه بها.

. لديه من الشجاعة والتخطيط والترقب والسرية، ما يخوله بلوغ أهدافه وتحقيق طموحاته.

. رأى فيه أمل إيطاليا ومخلصها، لا كما يعتقد البعض أنه قائد فرقة من المرتزقة.

" أنه أمير ارتقى أريكة السلطان لتأثير فضائله العظمى وليست هذه الفضائل إلا الكفاية والمقدرة، فهو إنسان فاضل على الرغم من عنفه لأنه يوجه هذا العنف إلى نبلاء رومانيا لا إلى أفراد شعبه الذين حفظوا له الجميل، فتمهلوا شهرا بعد سقوطه، قبل الإذعان لسيطرة يوليوس الثاني" [2]

يرى مكيافيللي في بطله، حاكما فاضل، مكتمل الصفات: من القوة والشجاعة والكفاية، التي يطلق عليها مكيافيللي مصطلح الفضيلة العظمى أيا كان طريقها خيرا أو شرا ذلك أن:

[1] . كوينتن سكينر، مكيافيللي، تر: رحاب صلاح الدين، مر: هاني فتحي سليمان، مؤسسة هنداوي، مصر،(ط1)، 2014، ص18.

[2] . نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مقدمة ووكر،مصدر السابق، ص127.

"ما فعله قيصر بورجيا، الذي أغرى جميع ضباطه الذين كانوا قد ثاروا عليه، بالمجيء إلى سنيغاغليا بعد أن صالحهم، حيث قتلهم عن بكرة أبيهم. ويزعم مكيافيللي أن هذه الأساليب كانت ناجحة" [1]

" وكانت الخديعة التي استخدمها بورجيا مصحوبة بالحيوية في القضاء على زعماء الثورة، هي السبب الذي دفع مكيافيللي إلى أن يجعل منه، أي من قيصر، النموذج المثالي للجمع بين القوة والحيلة، وذلك في كتابه الأمير. أما في المطارحات فليست هناك مكانة بارزة لقيصر، الذي لا يذكره مكيافيللي إلا عرضا في مواقع متفرقة" [2]

من خلال النصين نفهم، أن مكيافيللي يبيح كل الوسائل التي من شأنها قمع الثورة والعصيان وكل أشكال التمرد، ويرى في قيصر بورجيا أنموذج الأمير الحقيقي، نظرا لما يتمتع به من القوة والحيلة، في سبيل تحقيق الوحدة الإيطالية، وهو بذلك نجده منحازا بقوة نحو شخصية هذا الرجل ويرى تصرفاته من أنجع الأساليب، وإن كانت تنطوي على شيء من المكر والخداع والعنف فهي من الصفات التي امتدحها مكيافيللي في هذا الشخص وفي فكره السياسي بصفة عامة.

يلقي مكيافيللي نظرة واسعة على تاريخ التجارب السياسية للقدماء والمحدثين بما يمكنه من استخلاص حلول لواقع إيطاليا السياسي المعاصر آنذاك.

[1]. نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص132.

[2] . المصدر نفسه، ص51.

المبحث الثالث: البعد النفسي في التحليل السياسي عند مكيافيللي

تمهيد:

نظر مكيافيللي للطبيعة البشرية كما هي بالفعل، وكما تتجلى في التاريخ الفعلي للمجتمعات، وليس كما ينبغي أن تكون، أو كما فعل فلاسفة السياسة منذ أفلاطون، وفي هذه المطارحة سنتطرق إلى مشكلة الطبيعة البشرية، والقوانين التي تحكمها وعلاقتها بعلم السياسة، وفي هذا الصدد نستعرض أهم التأملات والأحكام التي توصل إليها مكيافيللي بعد ترويه لعدد من الملاحظات التي طالت الحالة النفسية للحكام والمحكومين على سواء.

1. سهولة إفساد الناس:

"يجب أن يلاحظ المرء في قضية مجلس العشرة، السهولة التي يمكن بها إفساد الناس وتحويل طبيعتهم وتبدلها، مهما كانت درجة الصلاح التي هم عليها " [1]

يود مكيافيللي أن يقول بصريح العبارة أن الفساد يتخلل أيا كان هذا الإنسان سواء كان حاكما أو محكوما، مهما بلغ من صلاح النفس والسلوك.

أيضا: *"وكيف أن الصغار في الطموح، قد دفع بكونيتوسفابيوس* إلى أن يعمي عينيه عن الحقائق رغم ما هو عليه من طيبة وامتياز، وكيف أنه تحت تأثير إبيوس الشرير قد تحول عن طباعه الخيرة إلى طباع سيئة، وغدا شبيها له في كل شيء"* [2]

يؤكد مكيافيللي على الطبيعة المتغيرة للإنسان، وكيف أنه يسهل إفساد طيبته، ونبله، وفضائله إلى أضدادها، وذلك إما بسبب للأنانية المتأصلة في الغريزة الإنسانية، أو بسبب الطموح الشخصي للإنسان، بحيث لا يحد طموحه وسعيه لسيطرة حد، فيصل إلى مرحلة لا يميز بعدها بين ما هو خير وما هو شرير، ويمثل نصب عينيه إلا تحقيق أهدافه وطموحاته، وأن طبيعة الجنس البشري ككل

---

[1]. نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص ص 362.363.

*. أحد الأعضاء في المجلس العشرة الثاني.

[2]. المصدر نفسه، ص 363.

تنزع نحو الفساد. فهذه حقيقة تكاد تكون سمة ملازمة لطبائع الناس وهو ما يعني أن مكيافيللي من القائلين بالطبيعة الشريرة للإنسان وتأصل الشر فيها.

لذا يقر مكيافيللي بضرورة ردع تلك الغرائز الضالة، والحد من طبيعة الإنسان الشريرة بالإجراءات اللازمة في مثل هذه الحالات، ويقول في هذا الشأن:

"ستحمل جميع المشرعين سواء أكانوا في الجمهورية أو المملكة، على أن يكونوا على استعداد لكبت جميع الشهوات الإنسانية، وحرمانها من كل أمل في ارتكاب الإساءات مع الإفلات من العقاب" [1]

يحمل مكيافيللي المشرعين السياسيين المسؤولية الكاملة لكبح جماح هذه الغرائز، ومنعها من التسبب بأي إساءة، يدفع إليها الاعتقاد بالإفلات من العقاب.

2. الفضيلة السياسية:

للفضيلة[2]* مفهومها المخصوص في علم السياسية، كما لها مفهومها المخصوص في فكر مكيافيللي، فالفضيلة، لا تعني بمفهومها الواسع الحكمة، أو الخير، أو سلامة الحكم، أو السلطان ولا تعني حسن الطالع، ويبدو أن مكيافيللي يقصد بها في كتابه المطارحات الكفاية، بيد أن الفضيلة في كتابه الأمير تعني البسالة، والمقدرة، والنجاح. وهي صفات من الضروري أن يتحلى بها الحاكم

[1].نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص 363.

*__لغة:__ الفضيلة خلاف الرذيلة، وهي مشتقة من الفضل، ومعناها في اللغة الزيادة على الحاجة، أو الإحسان إبتداء بلا علة، أو ما بقي من الشيء.

__إصطلاحا:__ وفضيلة الشيء ميزته، أو وظيفته التي قصدت منه، والفضيلة في علم الأخلاق هي الاستعداد الدائم لسلوك طريق الخير، أو مطابقة الأفعال الإرادية للقانون الأخلاقي، أو مجموع قواعد السلوك المعترف بقيمتها[2].راجع: (جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص148.

الناجح. ويري أحد الباحثين: "أن الفضيلة عند مكيافيللي هي التكنيك البسيط والمجرد"، وبالتالي أن الفضيلة هنا ليس لها أي بعد أخلاقي.

كما يؤكد مكيافيللي وجوب تحلي المواطنين والحكام والقادة العسكريين بخصال الفضيلة، لأنه يرى أن قوة الدولة تكمن في تمسك شعبها بالفضائل، وهو في ذلك يعقد مقارنة بين الفضائل التي امتاز بها الرومان على سواهم من الأمم والدول، خصوصا ما ورد ذكره في مقارنته هذه؛ إمارة البندقية وفضائل مواطنيها، ويرى مكيافيللي في ذلك:

" إذ على الرغم من تمجيد الرومان للعظمة، إلا أنهم لم يكونوا يرون من غير اللائق أن يطيعوا شخصا كان من قبل تحت قيادتهم، أو يخدموا في جيش كانوا قبلا قادته العامين"[1]

يرى مكيافيللي في ذلك فضيلة من فضائل الجمهورية الرومانية، حيث تقاس فضائله على الواجب الذي على عاتقه تجاه وطنه وبلده، فالفضيلة المثلى لكل مواطن تقاس بمدى تكريس ذاته للصالح العام، لا على أساس الرتب وعدد الأوسمة مثل ما هو شائع في إمارة البندقية وبالحديث عن هذا يقول مكيافيللي في مطارحاته:

"وقد انقلب هذا العرف في رأي المواطنين اليوم وإجراءاتهم، وترتكب البندقية خطأ التفكير بأن المواطن الذي شغل منصبا عاليا يجب أن يجد من العار قبول منصب أدنى منه، ولذا فإن الدولة تكون راضية عن رفضه له" [2]

وقد استند في رأيه هذا إلى الواقع المنحرف للأكثرية من الناس، لا إلى مبادئ الحق والعدل والخير والفضيلة.

---

[1]. نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص 339.

[2]. المصدر نفسه، ص ص340،339.

أيضا: *" ولو اتبعت روما نفس السلوك الذي تتبعه اليوم معظم الجمهوريات الحديثة والممالك وفي طليعتها كلها البندقية، وهو ألا تطلب إلى من سبق له إشغال منصب القنصلية، الخدمة في الجيش إلا كقنصل من جديد، فان أحداثا لا تعد ولا تحصى كان لابد لها أن تقع وتهدد حريتها بالخطر"* [1]

حسب رأي مكيافيللي أن التحلي بمثل هذه الفضائل يبعث على صلاح الأمم، وحفظ حريتها السياسية سواء أكانت جمهوريات أو ممالك، وهذا ما أنقذ الجمهورية الرومانية على حد تعبيره من الفساد والانحطاط، وذلك إما عن طريق الأخطاء التي من المفترض أن يرتكبها القادة والنبلاء أو عن طريق طموح هؤلاء الذي لا حدود له. ففي مفهومه للفضيلة السياسية يظهر تأثر مكيافيللي بالفكر اليوناني، إذ ربط الفضيلة بالواجب كما يعرفها أرسطو: بأنها ملكة خلقية يكون المرء بحسبها صالحا ويقوم بما يتوجب عليه بأحسن وجه[2].

وفكرتي التوازن والرقابة في النظام من تقسيم أفلاطون للفضائل فهي أربع: "الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدالة، ووظيفة العدالة أن تحفظ النظام والتناسب بين الفضائل الثلاث الأولى"[3]

فيتحدث عن وجود ثلاث قوى تتبادل المراقبة، وبإمكان النظام الاستمرار بفعل توازن القوى، لكن مكيافيللي هنا لا يولي اهتماما لفكرة التناسب بين الفضائل، كما هو الحال عند أفلاطون.

وعلى ضوء ما سبق يبدو أن مكيافيللي قد اطلع على آراء أفلاطون وأرسطو في السياسة وإن لم يجعلهما مصادر لفكره السياسي.

3 ـالطموح والثأر:

يتساءل مكيافيللي كيف يحدث أن تحتفظ الأسرة الواحد في المدينة من المدن ولوقت طويل بنفس تقاليدها؟

على ذكر ما أورده مكيافيللي لا يقتصر هذا النمط على المدن وحدها في تقاليدها وتنظيماتها؛ بل يتعداه إلى أبعد من ذلك حيث يظهر هذا الوضع جليا في عادات وأنظمة الأسر، ويأخذ مكيافيللي

---

[1]. نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص 340.

[2]. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص147.

[3] . إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، (د، ط)، 1403هـ، 1983م، ص 136.

استشهاده من تاريخ الرومان دائما عن أسرا من هذا النوع، بحيث أن لكل أسرة من الأسر الرومانية تقاليدها وطباعها التي تميزها عن مثيلاتها. هذا مالا يعزوه مكيافيللي إلى الوارثة في إجابته عن مصدره بل إلى طرق التنشئة والتربية، وعلى هذا الأساس ينشأ التباين المختلف للأسر وتقاليدها واستمرار هذه الخصائص مع الجيل الذي يليه طبقا لهذه الطريقة.

مستدلا في مطارحاته بأسرة "إبيوس"*مؤكدا:

" ولو لم يكن الوضع كذلك لما كان في الإمكان أن يكون لجميع أفراد أسرة "إبيوس"، نفس الرغبات وأن يتأثروا بنفس العواطف وهو ما أكده "تيتوس ليفي "عند تحدثه عنهم" [1]

تميز أبناء هذه الأسرة بنفس الطباع ونفس الرغبات لأنهم نشؤ على نفس العادات وتلقوا نفس التعاليم.

يسترسل مكيافيللي في قراءته لتاريخ الأسر الرومانية العريقة فيشر إلى حادثة ذات علاقة بشأن العادات والتقاليد والطبائع التي تميز كل أسرة على حدى بغض النظر عما إن كانت طباعا حميدة أو ذميمة، فيستشف مكيافيللي في مطارحاته أن أسرة "إبيوس" ذات مراس عنيد ومليء بالغطرسة. وقد استدل على ذلك قائلا:

"لنأخذ الفرد الأخير من أبناء هذه الآسرة وقد عين رقيبا في روما، فعندما استقال زميله من منصبه بعد انتهاء ثمانية عشرة شهرا من خدمته، طبقا للقانون المعمول به، رفض "إبيوس" الاستقالة، زاعما أنه مخول بالاحتفاظ بالمنصب مدة خمس سنوات، وفقا لأول قانون سنه الرقباء"[2]

ويضرب مكيافيللي مثالا عن الطموح قائلا:

*واحدة من أسر روما العريقة.

[1].نيقولا مكيافيللي، المطارحات،مصدر سابق، ص 758.

[2]. المصدر نفسه، ص ص 759.758.

"فهو يفرض سلطانه على الأفئدة البشرية، حتى أن الناس لا يستطيعون الخلاص منه مهما ارتقت بهم مراتبهم، أجل أنه يصبح مرضا لا نجاة للنفس منه، ولا يكتفي الناس بالانتقال من طموح إلى آخر، بل إنهم ينقلون عدواه إلى الآخرين" [1]

إن السبب الجذري في هذا الفساد، راجع للسيطرة التي تملكها عواطف الإنسان على تفكيره.

يبرز مكيافيللي في مطارحاته تمايزا واضحا بين تقاليد وطبائع الأسر الرومانية التي سبق ذكرها وعادات وتقاليد عامة الشعب قائلا:

" ومن الناحية الأخرى كانت الأغلبية الغالبة من المواطنين طيبة وكريمة، وتظهر استعدادها لطاعة قوانين البلاد وأنظمة الفؤول والعرافة فيها"[2]

يظهر التباين واضحا جليا بين طبائع كل منهما وما أبدته لأغلبية من المواطنين في إيثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، خلق التوازن في الدولة، والتنظيم المحكم لمؤسساتها السياسية، وغض النظر عن سلوك وطموح بعض القادة والأسر الرومانية. والغاية الأسمى من كل هذا بالدرجة الأولى هي إيثار المرء لبلده على نفسه وأن ينصهر في حدود الدولة، والأهم عند مكيافيللي هو احترام الجمهورية والقوانين والوقوف عندها في سبيل صلاح الدول ومحاربة الفساد فيها لخلق نوع من الاستقرار والهدوء في الدولة.

[1] . نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص155.

[2].المصدر نفسه، ص 759.

الفصل الثاني: أشكال الحكومات ووظائفها

المبحث الأول: أشكال الحكومات

المبحث الثاني: التوظيف السياسي للدين

المبحث الثالث: ضرورة الحرب

تمهيد:

نتعرض في هذا الفصل للمعالجة أشكال الحكومات وأهم وظائفها والمقومات التي تتأسس عليها، وفيه نعالج مراحل تبدل الحكومات وشكل الحكم الأصلح من وجهة نظر مكيافيللي، مع الوقوف على أهم الوظائف والمقومات الضرورية لتأسيس الحكومة والحفاظ عليها؛ خصوصا أنه لا يهدف للوصول إلى الحكومة المثالية، بل البقاء في الحكم وجعله آمنا.

المبحث الأول: أشكال الحكومات

"لقد حان الوقت لمكيافيللي الاعتراف أكثر عاطفية اليوم، والمسافة بين مكيافيللي والفلسفة السياسية اتسعت بقوة أكثر مما في الماضي. والواقع أن الأعمال المشروعة للفيلسوف هذه الأيام ليس تكريس نفسه للفكر الديمقراطي وشروطه وأبعاده المختلفة (السياسية والمدنية والاقتصادية والاجتماعية والتعلمية، وما إلى ذلك) وأفضل أشكاله؟

لأن حكومة الديمقراطية، كانت جزء من تصنيف الفكر السياسي اليوناني، والمعروف في وقته، جنبا إلى جنب مع الطبقة الأرستقراطية (حكم القلة) والملكية (الحكومة الفرد)، حيث يظهر رأي مكيافيللي جزئيا في تحليل المخطط الدوري للمدن المقترحة من بوليبيوس* في كتابه تاريخ روما لتيتوس ليفي"[1]

*. بوليبيوسPolybius(204 . 122، ق،م)، مؤرخ روماني مشهور، يعتبر كتابه عن تاريخ روما من أعظم المراجع.

[1]. Marie Gaillenikodimov, machiavel et la tradition philosophique, hal: archives ouvertes, 2007, p71.

تعد الحكومة (Gouvernement) وأشكالها من الموضوعات الجوهرية في علم السياسة.

وفيما يلي نتطرق إلى معني الحكومة لغة واصطلاحا:

أ/ وتعني الحكومة في الاصطلاح اللغوي: "حكم عليه بالأمر، وحكم بينهم حكما وحكومة، أي قضى، وحكموه بينهم، أمروه آن يحكم"[1]

ب/ على أن الحكومة في اصطلاح الفلاسفة تعني: "الإدارة، التدبير، التوجيه: كإدارة الأعمال، تدبير شؤون الدولة، وتوجيه سياستها"[2]

ج/ أما الحكومة عند علماء السياسة، لها مفهوم أكثر دقة، فهي تشير في رأيهم، وحسب ما جاء به جورج بوردو في كتابه " العلوم السياسية ج4"، بأنها: " ممارسة السلطة في جماعة سياسية معينة، وبالتالي يكون المقصود من كلمة الحكومة نظام الحكم في الدولة أي كيفية ممارسة صاحب السيادة للسلطة العامة وشكل الحكم.

رغم تعدد الاستعمالات لكلمة الحكومة، فإنها تعني جميع الهيئات الحاكمة في الدولة، وهناك أشكال مختلفة تمارس من خلالها السلطة أو الحكومة حسب الدول والفترات التاريخية التي مرت بها والتطورات التي حصلت في الفكر السياسي الإنساني، والحكومات قد تكون فردية أو أقلية، ومن ثم الحكومات الشعبية أو الديمقراطية، حيث يكون الشعب مصدر السلطة ومصدر السيادة"[3]

---

[1]. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مرجع سبق ذكره، ص493.

[2] . المرجع نفسه، ص494.

[3]. ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة السياسية والفلسفية والدولية، دار النهضة العربية، بيروت. لبنان، ط1، 1429 هـ . 2008 م، ص ص277.278.

يتجلى لنا إذن من خلال النص أن الحكومة بمفهومها العام ممارسة السيطرة على الآخرين والتحكم في سلوكهم اقتصاديا، اجتماعيا، دينينا... إلخ.

انطلاقا من هذا المفهوم يمكننا التعرف على الحكومة من خلال مؤسساتها التي تضطلع بالمحافظة على النظام والأمن العام للدولة ولمواطنيها كذلك من حيث هي الوجود الفعلي للإنسان كما يراها هيغل.

الإشكال الذي يعالجه مكيافيللي هاهنا المتعلق بالحكومة وطبيعتها حيث يتساءل:

على أي أساس تصنف الحكومات؟ وماهي الأشكال التي تتخذها الحكومات؟

أما بخصوص التساؤل الأول يستهل مكيافيللي حديثه عن المدن الحرة من جمهوريات وإمارات بحيث يميزها في نشوئها، وقوانينها، ومؤسساتها السياسية عن المدن الخاضعة لسلطة أخرى، أو لحكم أجنبي، أو تحت الوصاية بالمفهوم السياسي.

مستشهدا من التاريخ على نماذج لحكومات من هذا النوع، ويأتي على ذكر مدينة إسبارطة وقائدها ليكيرجوس قائلا:

" شخص يظهر في وقت من الأوقات فيشرع لها قوانينها، كما حدث بالنسبة لإسبارطة، التي سن لها ليكيرجوس شرائعها، بينما حصل البعض الآخر، على هذه القوانين في أوقات متفاوتة، بتفاوت الظروف، وهذا ما حدث بالنسبة إلى روما مثالا" [1]

[1]. نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص 216.

انطلاقا مما ورد في النص يستنتج المرء أن الأساس الأول الذي تقوم عليه الحكومات هو الدستور، ذو الطبيعة القانونية والسياسية، والذي على أساسه تمارس الدولة سلطتها السياسية، لاسيما إن كان الحاكم المشرع الوحيد لهذا الدستور، ليمثل لنا نموذجا عن الحكومة المطلقة كما سبق وذكر في النص.

أما بخصوص التساؤل الثاني بحيث يستهدف مكيافيللي، من حديثه هذا منظمات مدينة روما، وعن الأحداث التي أدت إلى كمال جمهوريتها، ويقول بهذا الخصوص:

"فإنني أود القول بأن الذين كتبوا عن الدول، يقولون أنها . أي هذه الدول . لابد أن تكون منطوية على أحد أشكال الحكم الثلاثة، وهي الإمارة وحكم النبلاء وحكم الشعب، وأن على من يقيمون حكومة في أي دولة معينة، أن يتبنوا أحد هذه الأشكال الثلاثة، طبقا لما يتفق وأهدافهم"[1]

من خلال ما ورد في النص يتعرض مكيافيللي لأنواع الحكومات، مؤكدا أنها لا تخرج عن ثلاثة أشكال وهي: الحكم الملكي وحكم النبلاء وحكم الشعب، وأن كل حاكم يختار الشكل الأنسب له وما يتوالم مع أهدافه، ولرعيته أيضا.

يعتمد هذا التصنيف للحكومات على معيار الفئة الحاكمة، والتي تكون بيدها السلطة السياسية، فهي قد تكون . أي السلطة. بيد شخص واحد ينفرد بالحكم، وقد تكون بيد قلة متميزة من الأفراد يشكلون فيما بينهم نخبة، وقد تكون بيد الأغلبية أو ما يطلق عليهم عامة الشعب الذي يعد

[1]. نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص217 .

مصدرا لسلطات التي تتمتع بها الحكومة؛ وفيما يلي سنتكلم بشيء من التفصيل عن كل شكل من أشكال الحكم وما يؤول إليه[1]

يعتقد مكيافيللي على لسان آخرين أن هناك ستة من أشكال الحكم، ثلاثة منها السيئة وهي النقيضة. وثلاثة حسنة ومن السهل إفسادها، ولذا يمكن وصفها بالسيئة أيضا. أما الأشكال الحسنة الثلاثة فهي التي سبق لنا ذكرها، وتكون الأشكال السيئة الثلاثة تابعة وممتدة للثلاثة الحسنة، وتتشابه فيما بينها إلى حد يجعلها ميالة من شكلها الحسن إلى نقيضه السيئ، فمن السهولة بمكان التحول من الحكم الملكي إلى حكم الطغيان، ومن حكومة النبلاء (الأرستقراطية*) إلى حكم القلة (الأولغارشية**)

---

[1]. إسماعيل علي سعد، حسن محمد حسن، النظريات والمذاهب والنظم دراسات في العلوم السياسية، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، (د،ط)، 2005، ص188.

*الارستقراطية(Aristocrace): يعد هذا المصطلح من المصطلحات ذات الأصول اليونانية المشتقة من مقطعين معناهما "حكم الأفضل"، وفي معناها السياسي العام، بأنها الطبقة الإجتماعية النبيلة التي تتولى الحكم، وتتمتع بإمتيازات خاصة كالمال والجاه والمراكز الإجتماعية التي يكتسبونها بالوراثة. وللأرستقراطية معنى سياسي، إنها الفئة الإجتماعية التي تتميز عن غيرها بالمال، وتعيش على فائض القيمة للفئات الإجتماعية الأخرى. (ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة المصطلحات السياسية، مرجع سابق، ص ص75، 76.)

**الأوليغارشية(Oligarchie): يعتبر أفلاطون أول مفكر سياسي في تقسيمه الحكومات إلى عدة أنواع، محددا أنماطها وسماتها حيث الجمهورية المثالية، الديمقراطية، الأوليغارشية التي تعني حكم القلة، والتي هي امتداد للحكم الأرستقراطي. وفي كتابه السياسي، يقدم أفلاطون ستة أنواع من الحكومات ثلاثة تتقيد بالقانون وتحترمه، وثلاثة أخرى لا تلتزم بالقانون، ومنها حكم الأوليغارشية بالإضافة إلى الإستبدادية والديمقراطية المتطرفة أو الغوغائية. وقد جاء بعده أرسطو الذي قسم الحكومات إلى نقية: ملكية، أرستقراطية، دستورية، وحكومات فاسدة: استبدادية، أوليغارشية، ديمقراطية غوغائية. وقد أعتبر الأوليغارشية كمسخ للأرستقراطية، ويعرفها حيث يحكم الأشخاص بسبب ثرائهم سواء أكانوا كثرة أو قلة، فإذن هذه هي الأوليغارشية التي تمثل مسخا للأرستقراطية كنوع طبيعي من الحكم. فأساس الأوليغارشية هي الثروة إلا أن أرسطو الذي يرى في الأوليغارشية بأنها تأتي كنتاج للتنافس، والقوة العسكرية، فإنها أيضا أفضل من الإستبدادية إذ أنها تتضمن بعض التوزيع على الأقل بالنسبة للحق السياسي والسلطة. (المرجع نفسه، ص145،146.)

وحكومة الديمقراطية* إلى حكم الفوضى أو الغوغاء على حد تعبير مكيافيللي إذ يقول:

" وهكذا يكون من يقوم بتشكيل حكومة ويختار لها أحد الأشكال الثلاثة الأولى، قد اختار لها في الواقع حكما مؤقتا، إذ ليس ثمة من سبيل للحيلولة دون تحوله إلى نقيضه، وذلك بسب ما يقوم بين الفضيلة والرذيلة في مثل هذه الأحوال من تشابه"[1]

منه تتعاقب أشكال الحكم مرحلة بمرحلة، على النحو الذي فصلت، حتى تصل إلى آخر أشكال الحكم ثانية، حيث أن كل شكل من أشكال الحكم يتسم بالمحدودية وسرعان ما ينتقل إلى شكله المناقض مما يستحيل عليه الاستمرار في شكله الأول كما سبق وشرحنا، والسبب هذا التحول حسب رأي مكيافيللي راجع إلى تحول الفضائل إلى رذائل وما يحصل من تداخل بينهما.

تجدر الإشارة أن مكيافيللي في معالجته للحكومات، اتبع نهج بوليبيوس باستثناء القول بأن الحكومات تمر بأدوار انتقالية، حيث يقول موضحا سبب ذلك:

*الديمقراطية (Dimocratie): تتألف كلمة الديمقراطية من مقطعين، حيث المقطع الأول ديموس(Demos) أي الشعب، وكراتس(Cratie) أي السلطة، أو الحكومة، وتعني على ضوء ذلك بأنها حكم الشعب لسلطته. وإذا كان للديمقراطية مصطلحات عديدة: حيث الديمقراطية الإجتماعية تتركز حول العدالة وتكافؤ الفرص أمام المواطنين والديمقراطية الشعبية، إلا أن لها مدلولا سياسيا، شاع إستعماله في كل الأدبيات والفلسفات القديمة والحديثة، وأنها مذهب سياسي محض تقوم على أساس تمكين الشعب من ممارسة السلطة السياسية في الدولة، إما مباشرة كما في الأنظمة السياسية القديمة، حيث كان بإمكان الشعب أن يجتمع في الساحات العامة لدولة المدينة ليختار من يمارسون السلطة أو بشكل غير مباشر كما هو عليه الآن في أغلبية الأنظمة السياسية التي تأخذ بأسلوب تداول السلطة سلميا وعن طريق الإنتخابات المباشرة وبالإقتراع العام السري، أو غير المباشرة. للمزيد من المعلومات الرجاء لإطلاع على: (ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة المصطلحات السياسية، مرجع سابق، ص 319.

[1]. نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص218.

" ينذر بأن تعود نفس الحكومة إلى نفس الشكل من الحكم المرة الثانية، وذلك لسبب واحد، وهو ندرة تمتع الحكومة بتلك الحيوية التي تضمن لها الصمود أمام جميع التقلبات، والبقاء بعدها في حيز الوجود" [1]

نجد مكيافيللي انطلاقا من هذا النص لا يقر بأن الحكومات تمر بأدوار انتقالية، وذلك لافتقارها الحيوية اللازمة لتصدي الأزمات والاضطرابات التي تعترضها، ومما لا شك فيه أنها تنتقل إلى شكل آخر من أشكال الحكم لتهدئة الأوضاع واستتباب الأمن العام للحكومة.

لكنه يوافقه الرأي بأن أشكال الحكم البسيطة تكون غير مستقرة، ومتذبذبة وميالة إلى معكوساتها؛ كما تجسدت في مذهب أرسطو السياسي.

على ضوء ما سبق يقر مكيافيللي أن جميع أشكال الحكم الستة لا تحوز على الرضي أبدا؛ وهذا ما دفع بالمشرعين السياسيين، الذين يدركون هشاشة هذه الأنظمة وعيوبها إلى عدم تبني أي شكلا منها، والبحث عن بديل آخر يتصف بالديمومة والاستقرار.

يتبادر إلى ذهننا السؤال التالي:

ما هو طراز الحكم الأكمل والأمثل الذي يبحث عنه مكيافيللي تحديدا؟

يتبين لنا أن مكيافيللي منساق أكثر إلى شكل الحكم المختلط حيث يقول مبديا رأيه:

[1]. نيقولا مكيافيللي، مصدر سابق، ص221.

" يتمثل في شكل من أشكال الحكم يشترك فيه الجميع، وذلك لأنهم يرون أن هد الشكل أكثر قوة وثباتا، إذ لو وجد حكم الأمراء والنبلاء والشعب في دولة واحدة، لاحتفظ كل من هذه الفئات لنفسه بحق مراقبة الفئتين الأخريين"[1]

قد تجسد هذا النموذج الفريد من الحكم في مدينة إسبارطة بقيادة ليكيرجوس ويذكره مكيافيللي على النحو التالي:

"كان ليكيرجوس أحد الذين استحقوا الثناء العاطر، على إقامة حكومة من هذا الطراز، فلقد عهد في الدستور الذي سنه لمدينة إسبارطة إلى كل الملوك والنبلاء، وجمهرة الشعب، بمهام خاصة بها وهكذا أدخل شكلا من أشكال الحكم، قدر له البقاء أكثر من ثمانمائة عام، مما حقق له الثناء ولمدينته الهدوء والاستقرار"*[2]

لأن هذا النوع من الحكم يمتاز بفرض الرقابة السياسية على كل الأطراف الحاكمة، الأمر الذي أكسبه القوة والصلابة الضرورية للاستمرار.

نفس الشيء يمكن أن يقال عن روما لأنها تبنت هذا النوع من الحكم إذ يقول مكيافيللي:

---

[1]. نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدرسابق، ص 221.

*الدستور(constitution): إن الدستور الدولة هو مجموعة القواعد التي تحدد، أو بصورة أدق، تبين الطريقة التي تمارس السلطة من قبل القيادة السياسية أو القابضين على السلطة. وهذه القواعد يمكن أن تكون مكتوبة أو عرفية تنظم طريقة ممارسة السلطة والوثيقة الدستورية التي تتضمن هذه القواعد أو المبادئ تبين أو تحدد فلسفة النظام السياسي القائم. وكما للدستور طبيعة قانونية، التي يجب أن تنسجم مع روح ونص الدستور، فإن له طبيعة سياسية، حيث أن الدساتير منذ نشأتها أستخدمت كوسيلة لتكرس سلطة الفرد أو فئة أو حزب سياسي، أو طبقة اجتماعية.

[2]. نيقولا مكيافيللي، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

"نستنتج من هذا أن روما كانت سعيدة الطالع للغاية، لأن الانتقال من الملكية إلى حكم النبلاء، ومن الأخير إلى الديمقراطية قد جرى في نفس المراحل، ولعين الأسباب التي حددتها في مستهل هذه الأطروحة، دون أن يؤدي انتقال السلطة للنبلاء إلى إلغاء النظام الملكي ودون أن يؤدي إشراك الشعب في الحكم إلى انتزاع السلطة كلية من النبلاء ولقد أدي امتزاج العناصر الثلاثة عل النقيض من ذلك، إلى قيام دولة مثالية كاملة" [1]

يرى مكيافيللي بصدد موقع الشعب من السلطة فإن الحاكم الناجح لا يتجاهل رأي العامة في المسائل السياسية كمسألة توزيع المناصب والأفضليات والترقيات، دون المساس بسلطة النبلاء، حيث كان الاحتكاك بين العامة ومجلس الشيوخ العامل الذي حقق للجمهورية كمالها.

"من تحليله وبداية منطلقه حاول أن يوضح أن القوة هي أساس الشرعية السياسية(...). ومكيافيللي قد عبد القوة السياسية والنجاح السياسي ويرى أن السياسة يقاس مدى نجاحها بمدى استخدامها للقوة. فقد رأى مكيافيللي أن السياسة ماهي إلا معركة، بل معركة مستمرة تتمثل في الصراع على القوة. على أساس أن كافة السياسة ماهي إلا سياسات قوة" [2]

صور مكيافيللي أن الصراع جوهر العلاقات البشرية، ومن ثم ربط القوة بالسياسة على أساس الصراع من أجل الهيمنة، باعتبار أن القوة هي التي تحقق المآرب السياسية، متأثر بالأحداث التي

[1]. نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص223.

[2]. حورية توفيق مجاهد، الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده، مكتبة لأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، (ط3)، 1999، ص310.

وقعت في عصره من التضعضع والضعف الذي شتت إيطاليا؛ وبذلك نادى بقوة الحاكم والقوة الحربية، لتوحيد القومية الإيطالية.

1. الحاجة إلى التكيف بالنسبة إلى المحيط:

الثورة الدموية وغير الدموية.

في معالجتنا لمراحل التحول التي تتعرض له كافة الحكومات، نجد أنه للانتقال من شكل إلى آخر تفرضه حتمية الثورة؛ فالتحول إلى حكم القلة(الأوليغارشي) تسبقه الثورة على حكم النبلاء(الأرستقراطية) ويرى مكيافيللي أن هذا التحول يأخذ شكل الانتقال من الحرية إلى العبودية أو العكس.

يستغرب مكيافيللي من أن بعض الثورات يصحبها سفك وإراقة الدماء والبعض الآخر لا يستدعي ذلك؛ وتنطبق الحالة الثانية من الثورات على روما إذ يستشهد مكيافيللي من التاريخ الرومان قائلا:

"كما وقع فعلا في تحول روما من الملكية إلى حكم القناصل إذ لم يصب في عملية التحول*

*القنصل(consul): تعتبر القناصل موظفين رسميين تعنيهم الدول في بعض الدول الأجنبية ومرافقها العامة، يقصد رعاية مصالحها ورعاية المقيمين أو المسافرين والقيام ببعض المهام الإدارية والقضائية . وهم على أربع درجات: القنصل العام، والقنصل ، ونائب القنصل، والممثل القنصلي. ويتم تعيينهم بموجب إجراءات قنصلية تحدد صفتهم . فالقنصل العام وهو أعلى موظف في السلك القنصلي يرأس البعثات القنصلية ويمارس الاختصاصات القنصلية المنقوص عليها في اتفاقية فيينا، والقنصل الفخري الذي يطلع به إحدى الشخصيات التجارية أو الاجتماعية من رأي الدولة الموفدة أو رأي الدولة المضيفة، ويمارس نفس اختصاصات القنصل الملكي، ثم القنصل الملكي.(ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة المصطلحات السياسية والفلسفية والدولية، مرجع سابق، ص482.

أي إنسان بأذى، ولم يبعد من المدينة إبانها إلا الملوك الترقونيون ولا إنسان غيرهم"*[1]

يرد مكيافيللي على استغرابه من هذه الواقعة، في أن الأمر كله راجع إلى العنف إذا ما مورس في عملية التحول أم لا. يلاحظ مكيافيللي أن هذه الحالة من التحول تنطبق على حكم آل المديتشي أنفسهم، لكنه لا يتعرض لسرد وقائع وأحداث عن هذا التحول؛ لكنه يرى عموما أن حكم آل المديتشي لا يمتاز بالعنف.

"وهكذا كان مكيافيللي يعتقد أنه لابد من تهيئة الجو لكي يمارس الناس حريتهم، وهي نفس الفكرة تقريبا التي تقال الآن من أنه لابد من وجود فترة انتقال حتى يتهيأ الناس للممارسة الديمقراطية أو لحكم أنفسهم" [2]

2. التكيف مع الشعب:

يؤكد مكيافيللي أنه على من يقيم حكومة أن يهتم برعاياه ومن يحكمهم. وأن يكيف نفسه وحكومته وفقا لهذا الأساس؛ ويرى أن المواطن الفاسد لا يستطيع أن يفسد النظام السائد إذ لم يكن في حد ذاته فاسدا وهو يقيم دليلا على صحة كلامه انطلاقا من رؤيته للتاريخ الروماني إذ يسرد قضيتي سيبريوس كاسيوس ومانليوس كابيتولينوس على النحو التالي:

---

*الترقونيون(Tarquins): اسم يطلق على ملوك روما الأوائل إلى ملكيها الخامس والسابع ، فقد كان الأول يدعى لوشيوس تاركوينوس (616 .579) ق، م ، وكان ملكا محبوبا من شعبه لحكمته وشجاعته، وثانيهما يدعى لوشيوس تاركوينوس أيضا (543 . 510) ق، م وهو أخر ملوك روما فقد طرده الشعب الروماني بسبب اعتداء ولده على لوكريشا.

[1] . نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص631.

[2]. محمد وقيع الله أحمد، مدخل إلى الفلسفة السياسية، دار الفكر، دمشق، سوريا، (ط1)، 1431هـ، 2010م، ص253.

"كان الرجل الأول طموحا كل الطموح، ورغبة منه في اكتساب سلطة استثنائية في روما حبب نفسه إلى العامة عن طريق منحهم منافع جمة، (...) وعندما اكتشف النبلاء، مشاريعه الطموحة وأعلنوها على الناس، أصبح موضع شك الجميع، حتى أنه عندما هب يخطب في الجماهير عارضا عليها توزيع المال الناتج عن بيع القمح (...)، رفضت هذه الجماهير عرضه فورا، إذ بدا لها أن سيبريوس إنما يستهدف من عرضه هذا أن يكون ثمنا لحريتها" [1]

تدل أحداث هذه القضية على ما كان يتمتع به الشعب الروماني من خصال الوفاء والإخلاص للوطن، إذ لوكان فاسدا لقبل بعرض سيبريوس كاسيوس ولكان في قبوله قد مهدا الطريق للاستعباد والطغيان بدلا من الحد منهما. ولعل قضية مانليوس كابيتولينوس أكثر بروزا وأهمية، إذ تظهر حادثته كما أوردها مكيافيللي:

"أن الرغبة المتطرفة في الحكم تطمس الفضائل التي يتمتع بها المرء في عقله وفي جسده، كما تمحو الخدمات التي يقدمها إلى بلاده، مهما كانت هذه الخدمات جليلة الشأن، وقد أثار ما شعر به من غيرة كاميلوس، الذي أضفت عليه المدينة أعظم مظاهر التكريم، هذه الرغبة الساعرة في نفسه، وأصبحت من القوة حتى غدت عمى عقليا سيطر عليه، فحال بينه وبين التفكير في طراز الحياة السائدة في المدينة وبين تحري طراز الناس الذين يتعامل معهم، وإن كانوا على استعداد لتقبل شكل سيء من أشكال الحكم" [2]

بالإضافة إلى إثارته لعديد من المشاكل والفتن، ضد مجلس الشيوخ وضد القوانين على حد سواء.

---

[1]. نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص632.

[2]. المصدر نفسه، صفحة نفسها.

من خلال هذه الحوادث المذكورة نستنتج حالة الكمال على حد تعبير مكيافيللي التي كانت تسود الجمهورية آنذاك، كما تظهر جوهر والنقاء الشعب الروماني، حيث لم يهب لنصرته أيا من طبقات المجتمع الروماني التي غالبا ما تصادمت مصالحها، لا طبقة النبلاء الذين ألفوا الدفاع عن بعضهم البعض، ولا حماة الشعب (التربيون*) الذين خولهم الشعب لحماية مصالحه؛ بل أنظموا إلى صفوف النبلاء وعامة الشعب الذين كانوا من مناصري مانليوس في الماضي، أصبحوا اليوم قضاة الشخص الذي كان يدافع عنهم بل والحاكمين عليه بالموت دون الاكتراث لهذه الحقيقة؛ وهذه الخصال التي كان يبحث عنها مكيافيللي في إيطاليا ومواطني إيطاليا.

لا يعتقد مكيافيللي بأن ثمة نموذج في التاريخ، الذي ندرسه يتمتع بأنظمة سليمة على غرار ما كانت عليه الجمهورية الرومانية، وذلك بالنظر إلى أنهم ألفوا حب الوطن والعيش أحرارا مهما كان الثمن ويقول مكيافيللي على لسان تيتوس ليفي:

" وهكذا كان مصير الرجل الذي لو قدر له العيش في مدينة أخرى غير حرة لغدا من مشاهير الرجال"[1]

في الأخير يلفت مكيافيللي انتباهنا إلى أمر مهم، أولهما أن على الإنسان الساعي وراء المجد أن يستخدم في مدينة فاسدة وسائل تختلف في طبيعتها عن تلك التي قد يستخدمها في مدينة في أوج نشاطها السياسي. ولا فرق بين الأمر الثاني والأول وهو يعتمد على السلوك الذي يتبعه هذا الإنسان

*(التربيون): ويطلق عليهم حماة الشعب، وهم ممثلوا الشعب والمعنيين بالدفاع عنه ورعاية مصالحه، وأن يكونوا الوسطاء بينهم وبين مجلس الشيوخ.

[1] . نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص633.

ولاسيما في قضايا العصر؛ إذ على المرء أن يركز على الوقت الذي يعيشه، وأن يكيف نفسه تبعا لهذا الوقت، فمن الصعوبة والخطر بمكان أن تعمل على استعباد شعب ألف البقاء حرا.

3. التكيف مع الوقت:

يربط مكيافيللي سعادة المرء وشقائه بما لسلوكه من توافق مع الزمن الذي يعيشه، فروح الإنسان عبارة عن متناقضات إما خير وإما شر، حق أو باطل، تهور أو تروي وغيرها من المتناقضات التي تميز السلوك السوي عن غيره، ولما كان المتضادان يمضيان إلى حد التطرف سواء في التسرع أو في الروية أو غيرها من المتناقضات، فأنهما يعجزان عن أداء الأمور في نصابها الصحيح، وبالتالي مجبرين على ارتكاب الأخطاء. أما الإنسان الذي يواثم بين سلوكه وبين ظروفه يكون أقل ارتكابا للأخطاء وأقرب إلى النجاح من غيره. وبالعودة إلى تاريخ روما يقول مكيافيللي:

"كلنا يعرف كيف أن فابيوس مكسيموس سار عندما كان يتولى قيادة الجيش بحذر وانتباه شديدين، وبحرص يختلف كثيرا عما عرف عن الرومان من طبائع الجرأة والتسرع، ولكن شاء حسن الطالع أن يتفق هذا المسلك مع الظروف آنذاك، فقد وصل هانيبال إلى إيطاليا، (...) إذ تمكن من هزيمة الرومان مرتين متعاقبتين، وأوقع في نفس الجمهورية الرعب والفزع بعد أن أفقدها خيرة جنودها" [1]

تبين لنا الحادثة كيف أن مكسيموس قد كيف نفسه لزمن وللظروف المحيطة به إذ يقول مكيافيللي: *"لهذا فلم يكن ثمة طالع أحسن من أن تحي هذه الجمهورية بقائد يتمكن عن طريق ترويه*

[1]. نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص ص 637.636.

وحذره، من وقف العدو عند حده. ولم يكن ليقدر فابيوس أن يجد ظروفا تتفق مع طرائق عمله خيرا من تلك الظروف، وهذا هو السبب فيما حققه من شهرة"[1]

يرى مكيافيللي في سلوك فابيوس انسجام وتوافق مع طبيعته، لا منساقا لخياراته وأهوائه، وهي حقيقة تؤكدها معارضته شديدة لرغبة شيبيو وسياسته الحربية.

يشد مكيافيللي انتباهنا لنقطة مهمة وهي مدى اختلاف الإمارة عن الجمهورية في التكيف مع الظروف، وعلى هذا الأساس يقر مكيافيللي لو كان فابيوس ملكا لخسر حربه، وذلك بسب عدم قدرته على تبديل أساليبه وطباعه وفق ما تقتضيه الضرورة. ولكنه بحكم أنه يعيش في جمهورية فالأمر يختلف باختلاف المواطنين، وأمزجتهم، وميولهم، وقدرتهم على التكيف مع الظروف، وهذا ما دفع بفابيوس لتغيير سياسته الحربية وفق ما فرضته الظروف لمواصلة الحرب إلى أن ظفرا بها شيبيو.

تحضى الجمهورية طبقا لهذا المعيار بحياة أكثر كمالا وحظا أوفر من الإمارة، وذلك لأن نظامها يمكنها من تكييف نفسها تبعا لظروف المختلفة، ويرجع السبب في ذلك لتنوع المواطنين فيها، وهو ما لا يتاح للإمارة فالرجل الذي اعتاد العمل وفق وتيرة وأسلوب معين، يغدو غير مناسب لأسلوبه، فإن مصيره الدمار والخراب المحتوم.

هذا ما حدث بالفعل مع بييروسوديريني الذي أورده مكيافيللي قائلا:

"لقد سار (...) في جميع شؤونه طبقا لأسلوبه الطيب والمتأني، وكان الازدهار حليفه وحليف بلاده، طالما أن الظروف كانت مواتية لهذا الأسلوب. ولكن عندما حان الوقت الذي تطلب منه التخلي

[1] . نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص637.

عن أناته وعن تواضعه فيما بعد، ولم يستطيع أن يكيف نفسه لهذا الوقت فكان في ذلك دماره ودمار بلاده" [1]

يعود مكيافيللي مرة أخرى للحديث عن وقائع وشواهد من عصره إذ يستشهد بمدينة الفاتيكان وعن يوليوس* الثاني قائلا:

"قد سار البابا يوليوس الثاني طيلة عهد البابوية على أسلوب التسرع والتهور، ولما كان الوقت الذي وجد فيه ملائما لهذا الأسلوب، فقد نجح في مشاريعه كلها، ولكن لو قدر لأوقات أخرى أن تحل، وأن تتطلب هذه الأوقات أسلوبا آخر في العمل، لقضي عليه حتما، ذلك لأنه كان عاجزا عن تبديل طرقه وأساليبه في تصريف الأمور" [2]

يرجع مكيافيللي عدم قدرة المرء على التغير والتبدل إلى سببين أولهما أنه من المستحيل أن يعمل الإنسان عكس ما تمليه عليه طبائعه، وثانيهما أننا إذا اتبعنا طريقة من طرائق السلوك وقطعنا فيها شوطا لبأس به، فمن الصعب إقناع أنفسنا بالنجاح، إذ ما اتبعنا سلوك مغايرا له. ويكمن السبب في تبدل الحظ، إذ يبدل له الظروف المحيطة به ولكنه لا يستطيع أن يبدل له طرقه وأساليبه، ويكون سببا في خراب المدن أيضا، لأن الأنظمة في الجمهوريات لا تتغير بتغير الأزمنة؛ وهو ما تمت الإشارة له سابقا وإذا ما حصل تبدل فيها، فإنما يكون طفيفا للغاية، وذلك لأن من الصعب تغيير

---

[1]. نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص 638.

*يوليوس الثاني: بابا من أصل إيطالي، قضى حياته يعمل في تقوية نفوذ الكنيسة وسلطانها. لعب دورا بارزا في الحروب الإيطالية التي شبت في مطلع (ق،16)، وأشتهرا برعاية الفنون الجميلة.

[2]. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

أنظمتها إلى أن تنزع بنفسها إلى التغير، ولضمان هذا التبدل لا يكفي أن يبدل الفرد سلوكه الذي يتبعه. وهذا هو السر وراء إعجاب مكيافيللي بالنظام الجمهوري وخصوصا ما كانت على غراره جمهورية روما، فهي بالنسبة له الطراز الأمثل والأصلح للحكم.

يلاحظ على أسلوب مكيافيللي أنه يبرز مقارنات تاريخية بين الماضي والحاضر، لا لمجرد المقارنة بين الماضي والحاضر، وإنما ليسدي النصح والتوجيه لساسة والحكام في عصره وعصر غيره، لأنه يرى أن قوانينه السياسية تصلح لكل عصر وكل مكان.

المبحث الثاني: التوظيف السياسي للدين.

إن الدين بالنسبة لمكيافيللي أمر أساسي لا غنى عنه في نواحي كثيرة، باعتباره وسيلة أو أداة يستطيع من خلالها الأمير السيطرة على الشعب، وتوحيده باسم العقيدة، فالدين من منظوره هو دين للحكومة التي يجب أن تستغله لأغراض سياسية بحتة، وبالنظر إلى التاريخ الروماني يدعم مكيافيللي موقفه هذا، حيث يرى كيف أن نوما اضطر لإدخال سلطة جديدة للجمهورية للسيطرة على الجماهير انطلاقا من فكرة التفويض الإلهي باعتبارها أوامر إلهية مقدسة لا يجوز خرقها أو المساس بها، إذ ليس ثمة ما هو أخطر من أن تمس الإنسان في دينه. وليس هناك من مشرع ولم يلجأ إلى ذريعة الدين بحجة إقناع الجماهير والسيطرة عليها، وهذا ما فعله ليكرجوس وصولون* حيث التفتا إلى الدين، كأداة لازمة قبل أية أداة أخرى، وكان الدين هو العامل الأساسي وراء عظمة روما ورجالها والتاريخ شاهدا على ذلك حيث يقول مكيافيللي بهذا الخصوص:

*صولون Solon(638 . 558) ق،م مشرع أثينا العظيم، بدأ حياته كشاعر ثم سرعان ما ذاع صيته في الحكمة وأصالة الرأي.

" يبدو هذا القول واضحا في تصرفات كل من شيبيو ومانليوس توركواتس فبعد الهزيمة التي أوقعها هانيبال بالرومان في معركة كاني قرار الكثيرون من أهل المدينة إثر اجتماع عقدوه، وساده اليأس من الوطن، الهجرة من إيطاليا إلى صقلية. وعندما سمع شيبيو بذلك، راح يبحث عن المجتمعين، وقد انتضى سيفه بيده. وأرغمهم على أن يقسموا على عدم التخلي عن بلادهم" [1]

انطلاقا من هذا النص نرى كيف أن شيبيو التجأ إلى السلطة الدينية للسيطرة على الجماهير، وتغيير قراراتهم للصالح الوطن. وبالتالي لم نجد سلطة أقوى من سلطة الدين لسيطرة على الجماهير الرومانية، حيث أرغموا على البقاء في تراب الوطن لأنهم عهدوا عليه يمينا تحت الإكراه، حفظا منهم للقسم واحتراما منهم لدينهم.

1. أهمية الدين:

كتب مكيافيللي في مطارحاته عن أهمية الدين في إبقاء الناس متحدين وموالين للدولة، ويحمل الحكام أن يتمسكوا بالمبادئ الأساسية للديانة التي يزاولونها، وإذ ما تم ذلك، سيكون من اليسير لهم أن يحافظوا على عقائدهم الدينية المشتركة، وبالتالي الإبقاء على وطنهم في نجوة من الاحتلال ومطامع الدول الأجنبية، وأن يعززوا ويشجعوا أي شيء من المحتمل أن يساعد على تحقيق هذه الغاية، حتى لو كانوا غير مقتنعين بذلك الدين.

كما أن لكل دين جانب روحي يقوم عليه، فهناك أيضا جانب دنيوي يقوم عليه، وهكذا فقد ارتكزت الحياة الدينية في مدينة روما على ممارسة العرافين، والمنجمين، والكهنة وعلى ضوء هذا فقد

[1]. نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص261.

أقيمت هياكل، ومعابد للممارسة طقوسهم الدينية، والإجلال للكهنة عن طريق القرابين والابتهالات، ومختلف أنواع الاحتفالات، كما وجدت عرافة ديلوس(Delos) * ومعبد جوبيتر**(Jupiter) وعرافة آمون*** وغيرهن من العرافات والكهنة. وقد غلب على تدينهم الطابع الأسطوري، والإيمان بالمعجزات، ولقد حدث الكثير من هذه المعجزات في روما، وبينها تلك المعجزة التي وقعت عندما كان الجنود الرومان ينهبون مدينة فيي (Veii) إذ يقول مكيافيللي:

"فلقد مضى بعض الجنود إلى معبد الآلهة جونو (juno)**** *وخاطبوا صورتها قائلين أتردين الذهاب إلى روما؟ وخيل إلى البعض منهم أنها أحنت رأسها موافقة، وخيل للبعض الآخر أنها أجابت بنعم. والسبب في ذلك، أن الدين كان عميق الجذور في نفوسهم، وكما يقول ليفي، أنهم عندما دخلوا المعبد، لم يحدثوا أية ضجة وسلكوا سلوك الأتقياء وأبدوا كل احترام وإجلال. وعلى هذا الأساس فقد خيل إليهم أنهم استمعوا إلى الرد الذي أرادوه من الآلهة"* [1]

ما نستنتجه من هذا النص أن الرومان يدينون دينا وثنيا، وأنهم كانوا سذّجا في تفكيرهم إلى حد أنهم يخاطبون آلهتهم، ويستمعون إلى ردهم، ذلك لأن الدين كان موضع إجلال وتقديس بالنسبة لهم.

السؤال المطروح هنا، متى تنحرف الأمم إذن عن الدين؟

---

*ديلوس(Delos): إسم جزيرة صغيرة في بحر إيجه، وكان يقال عند قدماء الإغريق أن الإلهين ديانا و أبولا يقيمان فيها، وقد أقيم فيها معبد مازالت آثاره باقية حتى اليوم.

**جوبيتر(Jupiter): كبير الآلهة عند الرومان ويقابله زيوس عند الإغريق، ويقال أنه تزوج الآلهة يونون "جونو"

***آمون: عرافة الإله آمون راع عند قدماء المصريين، وكان معبده في طيبة على شكل رأس كبش.

****جونو (juno): من آلهة الرومان وهي تعادل عند الإغريق هيرا، ويسميها العرب يونون.

[1]. نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص267.

" حين ينحرف عنه رجال الدين ويتحولون إلى مجرد أدوات تسوغ للناس ما يفعله الأقوياء وتبرر رغباتهم بالباطل طبعا، والمهم إذن هو المحافظة على أسس الدين الذي تدين به الجماعة، أيا كان هذا الدين، والعبث بهذه الأسس من جانب الحاكم ينتهي بالعبث بها من جانب المحكوم. وخير دليل على هذا هو ما نزل بالعالم المسيحي من تفكك في أواخر العصور الوسطى" [1]

إن الكاتب في هذا النص، يؤكد معارضته لرجال الدين، حين ينتصرون للحاكم القوي، ويبررون مظالمه بهرطقاتهم الزائفة، وفتاواهم الباطلة، ضف إلى ذلك أن هذا السلوك من قبل رجال الدين يفضي إلى فساد المحكوم، لأنه رأى رجل الدين، يعبث بمبادئ ذلك الدين، ما ينجم عنه عدم احترام لرجل الدين، والاستهزاء به، مما ينعكس على نفسية المحكوم، الذي تنقطع علاقته بمبادئ الدين، وتتحلل رابطة الاحترام والقداسة، التي كانت تربط المحكوم بالدين وآية ذلك ماحلا بالعالم المسيحي من ضعف وشتات.

يرى مكيافيللي أن من الخطأ الاعتقاد إن ازدهار المدن الإيطالية راجع إلى كنيسة روما، وسأقدم معارضا إياه ما يحضرني من البراهين والأدلة، وبينها دليلان على درجة من القوة بحيث لا يستطيع إنسان في رأيي مناقضتهما أو تفنيدهما، وأول هذين الدليلين هو:

"أن إيطاليا قد خسرت بتأثير المثل السيء الذي يقدمه بلاط روما كل إجلال للدين. وقد نجم عن هذا الواقع عدد لا يحصى من المتاعب كشيء مسلم به، أن الأمور تسير على ما يرام، وحيثما

[1]. لويس عوض، ثورة الفكر في عصر النهضة الأوربية، مركز الأهرام، القاهرة، مصر، (ط)1، 1407هـ، 1987م، ص ص 100، 101.

يوجد الافتقار إلى الدين، يستطيع المرء افتراض العكس وهكذا فإن أول ما ندين به نحن الإيطاليين للكنيسة ورجالها، هو أننا صرنا ملحدين ومعوجين"[1]

يرى مكيافيللي في هذا النص، أن رجال الكنيسة، مسؤولون على عدم إجلال الدين، وعدم احترامه من طرف المواطنين. لاستخدام رجال الكنيسة، مبادئ الدين، في أغراض تخدم مصالحها الخاصة. وهو ذات الأمر الذي يؤدي بالمواطن الإيطالي، إلى الانحراف والإلحاد في الدين، كما يؤدي ذلك أيضا، إلى هدم الوحدة الوطنية عند الإيطاليين، في الوقت الذي يفترض فيه أن الدين، يعمل في سبيل وحدة المجتمع الإيطالي.

يقول مكيافيللي كذلك لكننا ندين للكنيسة ورجالها بشيء أعظم، ولعله هو السبب الثاني فيما لحق بنا من خراب:

" اتهم البابوية بعدة أمور منها سعيها للسيطرة على الشؤون الدينية والزمنية معا، وتجاوز حدود وظيفتها الروحية، والتجاؤها إلى كثير من أعمال الدنس والتجسس، وأن البابوية مهدت دخول الأجانب أرض إيطاليا بدعوى تدعيم السلطة الروحية، وارتماء البابوية في أحضان الملوك الأقوياء المعادين لإيطاليا كما حدث بنقل مركز البابوية من روما إلى مدينة أفينون الفرنسية"[2]

نجد أن مكيافيللي انطلاقا من هذا النص، يحمل الكنيسة الوضع الذي آلت إليه إيطاليا واتهمها بالتالي:

---

[1]. نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص268.

[2]. رأفت الشيخ، تفسير مسار التاريخ، مرجع سابق، ص99.

1. تجاوزها لحدود السلطة الدينية والوظيفة الروحية.

2. الخيانة المتمثلة في إدخال الأجانب إلى الوطن بحجة حماية الدين ونشره وتدعيم السلطة الدينية.

3. التملق للأقوى، كما حصل ونقلت مركزها من روما إلى أفنون بفرنسا لأن ملوكها كانوا أقوى ملوك المسيحية.

4. اتهام البابوية بأنها السبب الأساسي في إلحاد الشعب الإيطالي وانحلال أخلاقه.

وإن دل هذا النص على تعارض عقائدية مكيافيللي والتعاليم الكنسية، فإنه حتما، لا يدل على إلحاد مكيافيللي الذي غالبا ما أتهم به.

فمكيافيللي هنا لا يهاجم الدين في حد ذاته، بل نجده يحله محل الإجلال دائما مثل ذلك:

"هكذا نجد أنه كان يعطي للدين أهمية خاصة داخل الدولة، من حيث أنه قوة تؤثر تأثيرا قويا في أفراد الشعب. فالدين عنصر هام وضروري لصحة الدولة وعدم فسادها ولن تزدهر دولة ما في رأيه ما لم يندفع مواطنوها إلى العمل لمجدها بدافع غير الخوف من عقاب الحاكم. فإذا أعلت الدولة من شان الدين حققت أهدافها وأغراضها بشرط أن يظل الدين تحت سيطرة الدولة ونفوذها وإشرافها، وليس فوقها أو بجانبها أو له مسار لحقها" [1]

[1]. إمام عبد الفتاح إمام، الأخلاق والسياسة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، (د،ط)، 2001م، ص257.

يقر مكيافيللي في هذا النص بقوة العامل الديني، وحسب رأيه أن سلطة الدين أقوى تأثيرا وردعا من سلطة الحاكم نفسه، وتكمن أهميته في أنه عامل توحيد للدولة وعامل تشجيع للمواطنين في السلم والحرب، فضلا عن كونه حامي الأخلاق، زيادة على ذلك يرى مكيافيللي أن الدولة ينبغي لها أن تحتوي الدين، لضمان سيطرة السلطة الزمنية على السلطة الروحية.

2. الدين عامل تنظيم:

يقول مكيافيللي متفقا مع وجهة نظر ليفي، على الدور الذي لاعبه الدين في إصلاح الأنظمة وتسيير الدول لشؤونها بذريعة الدين، ويورد العديد من الأمثلة على ذلك ولكن مكيافيللي يكتفي بسرد مثال واحد قائلا:

" لقد خلق الشعب الروماني نظام المدافعين عنه أو حماته، ومنحهم صلاحيات القناصل، وكانوا جميعا من الطبقة العامة، باستثناء واحد فقط، وتعرضت روما في نفس العام الذي خلق فيه هذا النظام للطاعون والمجاعة، وظهرت في الوقت نفسه عدة (هالات) اعتبرت نذير شؤم. وقد اهتبل النبلاء هذه الفرصة عند التعيين التالي لحماة الشعب، فقالوا إن الآلهة غضبت على روما لأنها أساءت استخدام جلال السلطة الممنوحة لها، وأن الطريقة الوحيدة لإرضاء الآلهة، هي إعادة انتخاب هؤلاء الحماة، إلى وضعه الصحيح. وكانت النتيجة أن العامة، وقد أرعبهم هذا اللجوء إلى الدين اختاروا حماتهم من النبلاء تلك المرة" [1]

نخلص في نهاية المطاف إلى استنتاج نقطتان أساسيتان وهما:

[1]. نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص270.

1 . لجوء العامة لدين بدافع الخوف، لأن تدينهم كان من الصميم، وكان محل إجلال والتقديس، بالرغم مما في عقيدتهم من وثنية وأساطير.

2 . أما فيما يخص الطبقة النبلاء، فنجد أنهم لجأوا إلى الدين، في سبيل تحقيق مشاريعهم الخاصة كما سبق وذكر في النص هذا من جهة، ومن الناحية الثانية أن تدينهم مجرد شكليات للخدمة أغراضهم السياسية.

نخلص في نهاية هذا المبحث، أن هجوم مكيافيللي لتعاليم الكنيسة ومعارضته لسلطة البابوية، كان ما يبرره، فمن أجل وحدة إيطاليا ثار مكيافيللي على أهم أسباب الضعف والوهن، الذي شهدته معظم الإمارات الإيطالية:

أولا ضعف الأمراء ثقافيا، دينيا، وطنيا وقوميا هذا من جهة، فضلا عن كونهم عديمي خبرة وحنكة سياسية، هذا ما أسفر عنه في مؤلفاته خصوصا الأمير.

ثانيا ضعف الكنيسة، لمحاربتها سبل الوحدة ومبدأ القومية الإيطالية، لتكريس مبدأ خدمة مصالحها، والحفاظ على أملاكها وبسط سلطانها الروحي على السلطان الزمني فالكنيسة تولت زمام السلطتين في آن واحد.

المبحث الثالث: ضرورة الحرب

إن الحرب وهي الموضوع الرئيس في المطارحات كما هو الحال في كل من أعمال مكيافيللي، وقد خصص عدة فصول أخرى لمسألة جدوى عملها وتنظيمها، أو مبرراتها. والمزيد من أساليبها الفنية، ومختلف المناورات العسكرية لتقديم خلاصات عامة عن فنون الدفاع عن النفس، أو ما يطلق عليه في مؤلفه "فن الحرب"، وعلى الأمير ألا يستهدف شيئا أكثر من التفكير في الحرب، ودراسة الحرب إذ عليه ألا يفكر أو يدرس سواها، إذ هي الفن الوحيد الذي يحتاج إليه كل من يتولى القيادة، وأهمية التمرس عليها ودراستها أيام السلم أكثر من أيام الحرب لا يعدلها أي شيء آخر[1].

"وقد دفعت رغبة مكيافيللي في توحيد إيطاليا إلى إظهار أهمية التوسع الدولة وضرورة ذلك، فقد رأى أن الدولة يجب أن تمتد وتتسع فإذا لم تتح لها هذه الفرصة، فقد قضي عليها بالزوال وضرب على هذا مثلا بالإمبراطورية الرومانية التي انتهجتها"[2]

حيث *كانت روما تستهدف من حروبها الفتح* والمجد، لا الهدوء والإخلاد إلى الراحة ونجد أن من أسباب الحرب استفزاز العدو وإشراكه في الحرب كما يوردها مكيافيللي:

[1] . راجع: نيقولا مكيافيللي، الأمير، مصدر سابق، ص65.

[2]. محمد نصر مهنا، في تاريخ الأفكار السياسية وتنظير السلطة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، (د،ط)، 1999، ص245.

" ذلك لأن هانيبال، قائد القرطاجيين هاجم الساغونتيين حلفاء الرومان في إسبانيا، لا بدافع العداء لهم، بل لإرغام الجيوش الرومانية على الحركة، وذلك ليتيح لنفسه الفرصة لمهاجمتهم، والعبور إلى إيطاليا" [1]

نجد هذا الإجراء بكثرة مع أولئك الذين يحترمون المعاهدات، إذ بدل نقد المعاهدة يستفزه، بشن الحرب على أحد حلفائه ليجره إلى الحرب، وقد أبدا هانيبال براعة بالغة في هذا النوع من التكتيك الحربي.

1. مقوم الحرب:

يقول مكيافيللي ليست الحقيقة أن المال هو عصب الحرب، وليس ثمة من رأي أكثر خطأ من ذلك الذي يؤكد بأن المال هو عصب الحروب، وفي الأمثلة التي يقدمها مكيافيللي دليل على صدق هذه الأطروحة قائلا:

" قد دافع كوبنتتاس كيرتياس (Quintus curtius) عن هذه النظرية بالنسبة إلى الحرب التي وقعت بين إنتيباتر المقدوني **(Antipater) وملك إسبارطة، إذ يقول أن ملك إسبارطة بدافع الحاجة إلى المال، اضطر إلى الاشتراك في الحرب التي انتهت إلى هزيمته، مع أنه لو أجل المعركة*

[1]. نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص266.

*كوبنتتاس كيرتياس (Quintus curtius) مؤرخ روماني يعتقد أنه عاش في القرن الأول الميلادي. كتب تاريخ الإسكندر الأكبر في عشرة كتب فقد منها الكتابان الأولان وبعض الأجزاء الأخرى.

**إنتيباتر المقدوني (Antipater) قائد من قواد الإسكندر، ونائبه على مقدونيا. اخضع المدن اليونانية عندما ثارت عام323 وقضى على مقاومة اسبارطة وتزاقية.

بضعة أيام، لوصلته الأنباء من اليونان عن موت الإسكندر ولظل المنتصر، دون آن يضطرا إلى خوض المعركة ولكن افتقاره إلى الأموال وخوفه من أن يؤدي هذا الافتقار إلى تخلي جنوده عنه، أرغماه على تجربة حظه في المعركة، وهذا ما دعى كوبنتتاس كيرتياس إلى القول بأن المال هو عصب الحرب"[1]

يكشف النص أصل المغالطة القائلة بأن المال هو عصب الحرب، وكيف أن مخاوف ملك إسبارطة وافتقاره للمال لم يكن لهما ما يبررهما، ونتيجة لهذا التقدير الخاطئ للحرب والاعتقاد بأن المال هو أساس الحرب، هزم في حرب لو لم يشارك فيها لظل متمتعا بنصره.

فمن الساذجة الاعتقاد بهذا الرأي، ولو كان المال هو عصب الحرب حقا:

*" لتغلب داريوس (ملك الفرس) على الاسكندر، ولقهر الإغريق روما، ولتمكن الدوق شارل** *في يومنا هذا على السيطرة على السويسريين، ولما وجدت قوات البابا والفلورنسيين المشتركة، قبل بضعة أيام أية صعوبة في التغلب على فرانسيسكو ماريا، قريب البابا يوليوس الثاني في حرب اوربينو. ومع ذلك فقد قهر جميع هؤلاء، وكان قاهروهم من أولئك الذين اعتقدوا بأن عصب الحرب لا يقوم على المال، وإنما في خيرة الجنود"*[2]

يقول مكيافيللي أيضا مستشهدا بإمارة البندقية قائلا:

---

[1]. نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص468.

*شارل دوق بورغنديا (1433، 1477) ويلقب بالجور، هو إبن فيليب الدوق الطيب. اشتهر كقائد عسكري.

[2]. المصدر نفسه، ص469.

" كانت لدى البنادقة قبل بضع سنوات، خزانة مليئة بالنقود، ومع ذلك فقد أضاعوا جميع ممتلكاتهم، دون أن يستطيعوا استخدام كنوزهم في الدفاع عنها" [1]

على ضوء ما تقدم من الشواهد والأمثلة يؤكد مكيافيللي، أن الحرب لا تقوم على المال، بل إن المقوم الأساسي في الحرب هو في خيرة جنودها الذين يديرون دفة الحرب، وعلى بسالتهم القتالية، وحكمتهم في الظفر بالحرب، وإن كان المال ضروريا في الحرب إلا أن مركزه في المقام الثاني، وتقدم شواهد التاريخ الكثيرة أدلة على صدق ما يقوله:

" وهي أن بيركليس(Pericles) قد نصح أهل أثينا بش الحرب على البلوبونيز كلها، على اعتبار أن صناعتهم ومواردهم المالية ستمكنهم من النصر. وعلى الرغم من أن الاثنين قد حققوا بعض الانتصارات إبان الحرب، إلا أنهم خسروها في النهاية، بحيث أثبتت إسبارطة بحكمتها، وبسالة جنودها، أنها أكبر قيمة من أثينا في صناعتها وأموالها"* [2]

يتبين من خلال ما ورد في النص، تفرد الأنموذج الإسبارطي في تقديره للحرب، إذ تعتمد إسبارطة في حروبها، على حكمة القادة ومقدرة الجنود وشجاعتهم، اعتمادا يفوق حاجتها للمال، الذي كان المقوم الأول لدى الأثينيين.

---

[1]. نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص470.

*بيركليسPericles(490. 429) ق، م ، من أكبر الساسة في أثينا يمت إلي أنبل عائلات المدينة، وقد تقف في حداثة عهده ثقافة عظيمة، أحرز انتصارات عظيمة بعد أن تولى الحكم على جميع المدن اليونانية وبينها إسبارطة، قام بإصلاحات عظيمة في أثينا اشتهر بالخطاب الذي القاه دفاعا عن نفسه وأصدقائه، يلقب عصره بعصر أثينا الذهبي.

[2]. المصدر نفسه، ص472.

كما قد أوضح ليفي أن هناك ثلاثة أمور على جانب كبير من الضرورة للحرب، وهي وفرة الجنود، وحكمة القادة، وحسن الطالع، وهي ذات الأمور التي ركز عليها مكيافيللي وأكدها في مطارحاته.

2 . أفضلية الجيش الوطني على جنود المرتزقة:

يرد مكيافيللي كذلك سببا أخر من شأنه، أن يشكل خطورة على الأمير وعلى الجمهورية على حد سواء وهو استخدام قوات المرتزقة أو ما يسمى بالقوات الإضافية، سواء في الماضي أو في عصرنا الحاضر، مؤكد على عدم جدواها في الحرب، ومقرا بضرورة الاعتماد على القوات الخاصة للأمير أو الجمهورية، ولا يتردد مكيافيللي في ذكر أمثلة تاريخية عن ذلك، فيقول:

" ذكر أن الرومان تمكنوا في موضعيين مختلفين من هزم جيش سمنيين بالجيوش التي بعثوا بها لنصرة أهل كابوا فحرروهم بذلك من خطر الحرب مع السمنيين، وقرروا العودة إثر ذلك إلى روما. وحملهم الخوف من أن يقع الكابويون فريسة من جديد في أيدي السمنيين إذا تخلوا عن نصرتهم، على استبقاء فرقتين من فرقهم في ضواحي كابوا**، للدفاع عنها عند الحاجة. وأخذا رجال هاتين الفرقتين ينعمون بنوع من البطالة الضارة بهم، ورغبة منهم في التخلص من خطرها، فكروا، على الرغم مما في تفكيرهم من خيانة لوطنهم ولما يحملونه من إجلال لمجلس شيوخهم، بامتشاق السلاح، وإعلان أنفسهم أسيادا للبلاد التي دافعوا عنها ببسالتهم، إذ اعتقدوا أن أهلها ليسوا جديرين*

*السمنيون (Samnites): قبائل إيطالية كانت تسكن في ابوليا وعلى مقربة من بلاد اللاتين. حاولوا غزو كابوا في ق4 مما أدى إلى حروب مستمرة مع الرومان.

**الكابويين: إسم قبيلة من القبائل الموالية لإمبراطورية روما.

بأن يملكوا تلك الأشياء الطيبة التي لا يعرفون كيفية الدفاع عنها. وعندما سمعت روما بما ينوونه من عمل، أوقفتهم عند حدهم، وأعادت الأمور إلى نصابها الصحيح"[1]

نجد أن مكيافيللي يؤكد المرة تلوى الأخرى، ضرر القوات المرتزقة والقوات المساعدة، وأن من اعتمد عليها سواء في النظام الإماري أو الجمهوري، لا يستطيع فرض سلطته عليهم، لأنهم تحت سلطة وإمرة من أرسلهم، بأجر مقابل ذلك، كتلك القوات التي بعث بها الرومان لمساعدة كابوا، وتكمن خطورتهم في أنهم غير جديرين بالثقة إذ سرعان ما ينقلبون عليك، ويعزو مكيافيللي التمزق السياسي في إيطاليا إلى عاملين:

أولهما: *" تجزئتها إلى عدد من الدول، وانحطاطا لانضباط العسكري، وهو يلقي باللوم في الحالتين على الكنيسة المسيحية. فهو يلوم البابوية على حالة التجزئة التي تسود إيطاليا، وذلك لأنها ضعيفة من الناحية الأولى إذ لم تستطيع توحيد إيطاليا بأسرها تحت سيطرتها، ولكنها في الوقت نفسه، ليست على ذلك النحو من الضعف الذي تعجز فيه عن مقاومة أي أمير إيطالي آخر، قد يقوم بالمحاولة ذاتها، وذلك لأنها كانت تستثير دائما الدول الأجنبية عليه إذا حاول القيام بهذا التوحيد. وهو يلقي باللوم أيضا على المسيحية، لإخفاء تلك الروح من القوة والحماس، وهي في رأيه ضرورية لكل من يريد التفوق في الشؤون الحربية"*[2]

يشخص مكيافيللي أسباب الضعف الإيطالي ويرى أنها لا تخرج عن عاملين هما، الانقسام السياسي والضعف العسكري، متهما بذلك الكنيسة لأنها في رأيه سبب الضعف والفرقة الإيطالية،

[1]. نيقولا مكيافيللي، المطارحات، مصدر سابق، ص519.

[2]. المصدر نفسه، ص44.

لكنها ليست على ذاك النحو من الضعف الذي لا تستطيع الحفاظ فيه على ملكها وقوتها ضد أي تهديد عارض.

أما الآخر:

"إنه لا حاجة للاسترسال في الكلام على هذه النقطة لأن الدمار الحالي الذي أصاب إيطاليا لم يسببه سوى الاعتماد على الجنود المرتزقة. والحل الذي أقترحه، وهو بذلك منسجم مع وجهات نظر الإنسانيين الأوائل. هو أن يكرس كل أمير نفسه لبناء ميليشيا من المواطنين ويجب أن يمسك هو شخصيا بقيادة ورئاسة جنوده. ومالم يحصل ذلك، يقول مكيافيللي في خلاصته القاتمة لا تكون هناك إمارة آمنة، بل ستكون وقفا على الحظ، لعدم وجود فضيلة للدفاع عنها وقت الشدة"[1]

يرى مكيافيللي إنه لتوحيد إيطاليا، تقتضي الضرورة تشكيل جيش من نوع خاص، فهو بهذا ينصح الإيطاليين بإلغاء جيش المرتزقة، لصالح الجيش الوطني قائلا:

"الدعم أو الجيش الوطني هو أمر أساسي للدولة الحديثة، ويزعم البعض أن جنوده قليلي خبرة والشجاعة، ولكني أرى أن الخبرة و الشجاعة نحصل عليها عن طريق التسليح والممارسة والتنظيم الجنود، كما سترون في هذه المقابلة، ولكن يجب أن تكون حذرا . أي أيها الأمير. من أن يتم تجنيد المواطنين من قبل قادة الجيوش تحت السلاح أو عنوة، ولا كليا ضد إرادتهم، ولا طواعية تماما؛ لأنه إذا كانت الالتزامات طواعية بحتة، سيسفر عنه عيوب، لقد سبق وذكرت، عندما قلت أن تجنيد عدد أكثر من المتطوعين أمر في غاية الصعوبة، ويجب علينا في هذه الحالة أن نأخذ حلا وسطا،

[1]. كوينتن سكنر، أسس الفكر السياسي الحديث عصر النهضة، تر: حيدر حاج إسماعيل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، (ط1)، 2012، ص252.

وهو لا يشكل عائقا دون تحفظ أو حرية كاملة، وهو موضوع احترامهم للأمير. الاحترام حيث الخوف من إغضاب له قد يكون أكثر تأثيرا من خطر هذه العقوبة. وستكون النتيجة هي مزيج من القيد والحرية، والتي سوف تبقي على السخط ضمن حدود ضيقة إلى حد ما، حتى لا يكون هناك آثار سيئة[1]"

أعرب مكيافيللي عن هذه الفكرة في مؤلفه "فن الحرب" واعتبر أن الأمير الذي يعتمد على قوات المرتزقة كليا مآله الدمار والخراب له ولبلاده، لأنه وفي الحالة هذه سيفتقد إلى الأساليب الصحيحة للدفاع عن نفسه ووطنه في أوقات الأزمات، ويؤكد ذات الفكرة في أميره معرب عن عيوب الجنود المرتزقة بقوله:

"إن القباطنة والقواد المأجورة إما يكونون مقتدرين وإما غير ذلك، فإن كانوا مقتدرين فلا تعول عليهم؛ لأنهم ينتفعون بمقدرتهم لتعظيم أنفسهم إما بضغط عليك وأنت مولاهم، وإما بضغط على غيرك ضد رغبتك، وإن كانوا غير مقتدرين فلا تنتظر منهم سوى الخراب"[2]

من خلال ما ورد في النص يعدد مكيافيللي عيوب، ومساوئ الجنود المرتزقة، إذ يرى أنهم سلاح ذو حدين، إن امتلكوا القوة والقدرة على حمايتك، علا شأنهم وتعاظمت قوتهم، ويغدو من الصعب السيطرة عليهم، وبالتالي يصبحون مصدر تهديد لك ولسلطانك، وإن كانوا على حال من الضعف، جلبوا لك الخراب ولدولتك، لأن القوات المرتزقة لا ولاء لها سوى المال؛ أما إذا كان اعتماد الأمير

[1]. Nicolas machivel, le prince et outres textes, par jean- marie trembloy, union generald'edition, paris , 1962, p109.

[2]. نيقولا مكيافيللي، الأمير، تر: محمد لطفي جمعة، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر،(د،ط)، 2012، ص85.

على جيشه الوطني، التابع له، والخاضع لسلطته، والمتمرن بكفاءته، فإنه من المحال هزم هذا الجيش، لأنه يدافع عن راية وطنه، دون دافع لمال، أو الشهرة أو العظمة.

خـــاتمة

خاتمة

من خلال ما تم تحليليه في هذه الدراسة، حول إشكالية الأسس التاريخية لفكر مكيافيللي السياسي؛ توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات التي حاولنا قدر الإمكان استنباطها وفق المباحث الفلسفية التي اتبعناها وهي كالآتي:

- ✓ استجمع مكيافيللي دراسة نماذج من التاريخ السياسي القديم والحديث وأستوعب خلاصاته وقوانينه، عسى أن تسعفه في تحليل جذور الضعف والتضعضع الذي اجتاح إيطاليا في عصره، في محاولة لمحاكاة أقوى الجمهوريات في التاريخ.
- ✓ تعنى نظرية مكيافيللي بدراسة وتفهم نفسية الإنسان والجماهير، كما يكشف عنها تاريخ الحركات السياسية.
- ✓ يؤيد مكيافيللي نوعين من أنظمة الحكم، الملكي والجمهوري، ولم يوصي بالحكم الاستبدادي إلا في حالتين؛ إنشاء الدولة أو إصلاح دولة فاسدة.
- ✓ يؤكد مكيافيللي ضرورة أن يكسب الأمير حسن ظن شعبه بكل الطرق، لكي يشعر بالسلامة سواء في أوقات السلم أو الحرب.
- ✓ اعتقد مكيافيللي، أن أسباب ضعف إيطاليا إنما يتلخص في عاملين هما الانقسام السياسي والضعف العسكري.

- ✓ يضع مكيافيللي في نظريته السياسية مبادئ من شأنها أن تحفظ الدولة من الفساد، وأول هذه المبادئ، المحافظة على شعائر الدين وضرورة إمتلاك مجال حيوي وفرض القوة والهيمنة وحاجة الدولة للحرية بدل الاستعباد.

قائمة المصادر والمراجع

❖ **قائمة المصادر:**

الأجنبية:

1-Machiavelli, the prince, words worth classics of world literature

2-Nicolas machivel, le prince et outres textes, par jean- marie trembloy, union generald'edition, paris, 1962

العربية:

1-القرآن الكريم

2-نيقولا مكيافيللي، المطارحات، تر: خيري حماد، دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، (ط3)،1982

3-نيقولا مكيافيللي، الأمير، تر: أكرم مؤمن، مكتبة إبن سيناء، القاهرة/ مصر، (د، ط)،2004

4-نيقولا مكيافيللي، الأمير، تر: محمد لطفي جمعة، مؤسسة هنداوي، القاهرة/ مصر، (د،ط)2012

❖ **قائمة المراجع:**

الأجنبية:

1-Marie Gaillenikodimov, machiavel et la tradition philosophique, hal: archives ouvertes, 2007

العربية:

1-إسماعيل علي سعد، حسن محمد حسن، النظريات والمذاهب والنظم دراسات في العلوم السياسية، دار المعارف، الإسكندرية/ مصر، (د،ط)، 2005

2-إمام عبد الفتاح إمام، الأخلاق والسياسة، مجلس الأعلى للثقافة، القاهرة/ مصر، (د،ط)، 2001م

3-جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية، تر: ناجي الدراوشة، دار التكوين، دمشق/ سوريا، (ط1)، 2010ج2

4-جورج سباين، تطور الفكر السياسي، تر: راشد البراوى، الهيئة العامة المصرية للكتاب،د،ب، (د،ط)، (د،س)، ج3

5-رأفت الشيخ، تفسير مسار التاريخ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، الإسكندرية/مصر،(د،ط)، 1430هـ، 2000م

6-روس كينغ، مكيافيللي فيلسوف الفلسفة، تر: فايقة جورجس، مر: مجدى عبد الواحد عنبة، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة/ مصر، ط1 (2008)

7-كوينتن سكنر، أسس الفكر السياسي الحديث عصر النهضة، تر: حيدر حاج إسماعيل، مركز دراسات الوحدة العربية،، بيروت/ لبنان، (ط1)، 2012

8-كوينتن سكينر، مكيافيللي، تر: رحاب صلاح الدين، مر: هاني فتحي سليمان، مؤسسة هنداوي، مصر،(ط1)، 2014

9-كمال مظهر أحمد، مكيافيللي والمكيافيللية، دار الحرية، بغداد، العراق،(د،ط)، 1984

10- لويس عوض، ثورة الفكر في عصر النهضة الأوربية، مركز الأهرام، القاهرة/ مصر، (ط)1، 1407هـ، 1987م

11- ماكس هوركهايمر، بدايات الفلسفة البرجوازية، تر: محمد علي اليوسفي، دار الفارابي، بيروت/ لبنان،(د،ط)،2006

12- محمد نصر مهنا، في تاريخ الأفكار السياسية وتنظير السلطة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية/ مصر، (د،ط)، 1999

13- نبيل راغب، أسرار المطبخ السياسي، دار غريب، القاهرة/ مصر،(د،ط،)،(د، س)

❖ **çالمعاجم والموسوعات:**

1- أندريه لالاند، المعجم الفلسفي، تعر: خليل أحمد خليل، دار عويدات، بيروت، لبنان، (ط2)، 2001، ج2

2-إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة/ مصر، (د، ط)، 1403هـ، 1983م

3-جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت/ لبنان، (د،ط)،ج1، 1982 .

4- جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، (ط3)، 2006

5-مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر،(ط4)،1425هـ . 2004م

6-ناظم عبد الواحد الجاسور، موسوعة السياسية والفلسفية والدولية، دار النهضة العربية، بيروت. لبنان، ط1، 1429 هـ . 2008

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
الإهداء	/
الشكر	/
مقدمة	أ – د

الفصل الأول: تاريخ المصطلح السياسي عند مكيافيللي

المبحث الأول: المصطلح المكيافيللي	**10 – 5**
المبحث الثاني: موقف مكيافيللي من التاريخ	**20 – 11**
المطلب الأول: مفهوم التاريخ وأهميته عند مكيافيللي	**15 – 11**
المطلب الثاني: نماذج مكيافيللي التاريخية	**20 – 15**
المبحث الثالث: البعد النفسي في التحليل السياسي عند مكيافيللي	**26 – 21**

الفصل الثاني: أشكال الحكومات ووظائفها

المبحث الأول: أشكال الحكومات	**44 – 28**
المبحث الثاني: التوظيف السياسي للدين	**51 – 44**
المبحث الثالث: ضرورة الحرب	**60 – 52**

خاتمة	**63 – 62**
قائمة المصادر والمراجع	**67 – 65**
فهرس المحتويات	**68**

ملخص الدراسة:

تتمحور إشكالية بحثنا حول الأسس التاريخية وأهميتها في التوظيف السياسي عند مكيافيللي، هذا الأخير الذي يعتبر من أهم رواد عصر النهضة، فمن خلال خبرته السياسية وبحكم الأوضاع التي اجتاحت بلاده في القرنين 15 و16، تصور أن للتاريخ أهميته في التوظيف السياسي، من خلال بحثه عن العوامل المحركة للأحداث والوقائع التاريخية بغض النظر عن إرادة الأفراد الصرفة، وتكمن أهمية ذلك في أن مكيافيللي كتب التاريخ كسياسي لا مؤرخا، إذ أنه يبتغي من دراسته ولجوئه للتاريخ خدمة السياسة كعلم، لذا فإن مكيافيللي لم يهتم بسرد الأحداث والوقائع إلا ليستنبط منها الدروس والعبر في سبيل القومية الإيطالية .

Le résumé de l'étude :

La problème de notre recherche est concentre sur la problématique des fondement historique est son importance dans la philosophie politique de Machiavelli et ce dernier qui est l'un pionniers les plus important de la renaissance à travers son expérience et de la situation politique en vertu de laquelle a balayé son pays en deux siècles 15.16 la perception de l'histoire d'une importance politique des possibilités d'emploi grâce à la recherche de facteurs d'un évènements de la réalité historique quelle que soit la volonté des individus dans son importance dans les livres d'histoire comme un homme politique Machiavelli c'est n'été pas un historien comme il se dont ses études et l'histoire son il se doit ses études et l'histoire de son service pour le national italien.